



بحث بعنوان  
الصراع العثماني البريطاني في اليمن

(١٨٣٩ - ١٨٨٦م)

إعداد

حسين يحيى هادي دغريري

**المستخلص:**

تحتل اليمن موقع جغرافي واستراتيجي فريد حيث إنها بوابة البحر الأحمر الجنوبية، وبالسيطرة عليها يمكن شل حركة التجارة في البحر، وكان لموقع اليمن الأثر العظيم على المستوى العالمي، فهو يتوسط ثلاث قارات كانت مهد الحضارة منذ القدم هي آسيا وأفريقيا وأوروبا، وقد أدرك الغرب أهمية اليمن من الناحية الاستراتيجية والسياسية حيث كانت كبيرة على الصعيد الإقليمي والدولي بحكم موقعها المتميز الذي جعل الدول الاستعمارية تتسابق عليه منذ مطلع القرن الخامس عشر حتى تمكن الإنجليز من السيطرة على عدن عام ١٨٣٩م بالاحتلال العسكري، وفي المبحث الأول تناولت الأوضاع السياسية في اليمن قبل الاحتلال البريطاني، بمعنى تناول اليمن الجنوبي حتى قدوم البريطانيين على عدن، ومحمياتها ثم وضحت الأطماع البريطانية في اليمن قبل احتلالها لعدن ١٨٣٩م، وأما المبحث الثاني فقد تناولت فيه محاور التنافس البريطاني العثماني في اليمن ١٨٣٩ - ١٨٧٢م، ووضحت التدخل العثماني في اليمن (١٨٣٠-١٨٤٩م) وموقف بريطانيا من التدخل العثماني في محميات عدن ١٨٣٩-١٨٧٢م، وكذلك وضع البريطانيين والعثمانيين بين البقاء والزوال في اليمن خلال الفترة الممتدة من (١٨٧٢ - ١٨٨٦م).

**الكلمات المفتاحية:** اليمن، الدولة العثمانية، بريطانيا.

**Abstract:**

Yemen occupies a unique geographical and strategic location as it is the southern gateway to the Red Sea, and by controlling it can paralyze the movement of trade in the sea, and the location of Yemen had a great impact at the global level, it mediates three continents that were the cradle of civilization since ancient times, namely Asia, Africa and Europe, and the West has realized the importance of Yemen in strategic and political terms, as it was great at the regional and international level by virtue of its distinguished location, which made colonial countries race for it since the beginning of the fifteenth century until the British were able to Control of Aden in ١٨٣٩ AD by military occupation, and in the first section dealt with the political situation in Yemen before the British occupation, meaning dealing with South Yemen until the arrival of the British on Aden, and its protectorates, then clarified the British ambitions in Yemen before its occupation of Aden ١٨٣٩



AD, and the second section dealt with the axes of the British-Ottoman competition in Yemen ١٨٣٩-١٨٧٢ AD, and clarified the Ottoman intervention in Yemen (١٨٣٠-١٨٤٩ AD) and Britain's position on the Ottoman intervention in the Aden protectorates ١٨٣٩-١٨٧٢ AD, as well as the situation of the British and the Ottomans between survival and demise in Yemen during the period from (١٨٧٢ - ١٨٨٦ AD).

**Keywords:** Yemen, Ottoman Empire, Britai

#### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وأصحابه أجمعين وبعد:  
اليمن دائماً ما تتعرض للتنافس الدولي منذ القدم حتى وقتنا الحاضر، وذلك لأنه يتمتع بموقع جغرافي مهم على الطريق البحري التجاري المار إلى الهند والعكس، ابتداءً بالغزو الروماني مروراً بالاحتلال الحبشي ثم الاحتلال الفارسي، إلى أن جاء الإسلام فأصبح اليمن إحدى ولايات الخلافة الإسلامية، وظل على هذا الحال حتى تم انفصاله عن الدولة العباسية إلى عدة دويلات مستقلة، إلا أن الدولة الطاهرية استطاعت أن توحد معظم أجزاء اليمن تحت حكمها وكذلك كان لها شرف قيادة المقاومة اليمنية ضد أول ظهور للاستعمار الأوربي الحديث المتمثل بالغزو البرتغالي؛ وكذا الأطماع الهولندية والفرنسية والدنماركية وغيرها حتى قدوم الاحتلال البريطاني للجنوب والتدخل العثماني في الشمال.

#### أهمية البحث:

وتكمن أهمية موضوع البحث نتيجة لتفكير دائم في مقتضيات الصراع العثماني البريطاني في جنوب اليمن (البريطانيين في الجنوب) و(العثمانيين في الشمال).  
الفترة الزمنية:

وقد اخترت زمن البحث في القرن العشرين بحكم الأحداث التي جمعت الدولتين وتم تحديد عنوان البحث وزمنه بالصراع العثماني البريطاني في جنوب اليمن وتحديد نطاق البحث بالمدة الزمنية ١٨٣٩-١٨٨٦م - مدة ٤٧ عام.

#### الهدف من البحث:

وكان اختياري لهذا البحث يعود للأسباب الآتية:

أولاً: هذا الزمن شهد بداية التنافس الاستعماري المحموم على الجزيرة العربية ومن أجل السيطرة على حركة التجارة العالمية - آنذاك- وإيجاد أسواق جديدة في البلدان المستعمرة لتصريف البضائع المتكدسة في أوروبا والبحث عن مواد خام جديدة للصناعة وأيدي عاملة رخيصة.

ثانياً: النطاق الزمني الذي يتناوله البحث يُعد من أهم مراحل تاريخ اليمن في التاريخ الحديث والمعاصر، إذ شهد فيه صراع مرير؛ التي كان لها آثارها الكارثية على الأرض والإنسان، ربما أقلها ضرراً ما ترتب عنها من عزلة وابتعاد عن ركب التطور التي سارت عليه الأمم الأخرى.



ثالثاً: رغبة الباحث في رفد المكتبة العربية ببحث أكاديمي يوثق تفاصيل الصراع العثماني البريطاني في جنوب اليمن لمشاريع التقسيم التي فرضها الأجنبي على اليمن.

#### الدراسات السابقة:

١- دراسة هاني زامل مهنا العبدلي (\*) (٢٠٢٠م) بعنوان: العلاقات البريطانية اليمنية في عهد الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ١٩٤٨ - ١٩٦٢م.

وتناولت الدراسة بداية الوجود البريطاني في اليمن وأسس السياسة البريطانية في التعامل مع القيادات اليمنية المحلية، كما وضحت الدراسة بأن أحوال الدولة العثمانية تزداد تدهوراً وضعفاً، في ذات الوقت الذي ظهرت فيه كل من بريطانيا وفرنسا كقوتين عملتا على الهيمنة على ممتلكات الدولة العثمانية في الشرق العربي، حيث سعت بريطانيا بالسيطرة على طرق المواصلات البحرية وبخاصة الطرق المؤدية إلى مستعمراتها، كما وضحت الدراسة اهتمام بريطانيا بالسيطرة على البحر الأحمر ومضيق باب المندب وكذلك مدينة عدن بمينائها الاستراتيجي المشرف على المضيق.

٢- دراسة محمود علي السلمي (\*) (٢٠٢١م) بعنوان: النزاع الحدودي البريطاني العثماني في اليمن (١٨٧٣ - ١٩١٤م).

تتحدث الدراسة عن احتلال بريطانيا لمدينة عدن وسعي السلطات البريطانية في عدن بتأمين المدينة بمجموعة من معاهدات الصداقة والسلام أبرمتها مع زعماء المناطق الداخلية المجاورة لها، حيث حفزت الحكام المحليين على احترام تلك المعاهدات بمنحهم إعانات مالية منتظمة، كما وضحت الدراسة بأن تلك المعاهدات سعت بريطانيا على تقليل نفوذ العثمانيين في مناطق الشمال وتهديدهم لمناطق الجنوب.

#### خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مبحثين وهما:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في اليمن قبل الاحتلال البريطاني.

المبحث الثاني: محاور التنافس البريطاني العثماني في اليمن ١٨٣٩ - ١٨٧٢م.

(\*) هاني زامل مهنا العبدلي، العلاقات البريطانية اليمنية في عهد الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ١٩٤٨ - ١٩٦٢م، بحث منشور بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المجلد ٢٨، العدد ١٤، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢٠م.

(\*) محمود علي السلمي، النزاع الحدودي البريطاني العثماني في اليمن (١٨٧٣ - ١٩١٤م)، بحث منشور بكلية الآداب، جامعة عدن، المجلد ٤٧، العدد ٧٤، الجمهورية اليمنية، ٢٠٢١م.



### تمهيد:

تحتل اليمن موقع جغرافي واستراتيجي فريد كان له عظيم الأثر على المستوى العالمي، فهو يتوسط ثلاث قارات كانت مهد الحضارة منذ القدم هي آسيا وأفريقيا وأوروبا، وهو همزة وصل بين حضارات الهند وجنوب شرق آسيا وشرقي أفريقيا، وحضارات شرقي البحر المتوسط، وبلاد الرافدين ومصر في وادي النيل، لهذا كان موقع اليمن ملتقى للطرق الدولية البحرية بين الشرق والغرب، وحظي بأهمية بالغة من قبل الدول التي أحاطت به منذ القدم، وأصبح موضع اهتمام كبير ومحط أنظار هذه الدول للسيطرة عليه وعلى منتجاته.

لقد أدرك الغرب أن أهمية موقع اليمن ليس في سقطره وإنما عدن التي تعتبر في أنظارهم أنها بوابة البحر الأحمر الجنوبية، وبالسيطرة عليها يمكن شل حركة التجارة في البحر، من هنا جاءت الأهمية الجغرافية والسياسية والاستراتيجية والتجارية في اليمن في طريق التجارة الدولية منذ القدم.

تكمن أهمية موقع اليمن كونه يُعد حلقة وصل بين تجارة الشرق والغرب بسبب الموقع المهم، والتميز الذي جعل اليمن ذات أهمية كبرى لأنه يشرف على سواحل طويلة على امتداد البحر العربي، والأحمر ويطل على المحيط الهندي من خلال جزيرة سقطرى والبحر العربي. كل هذه العوامل جعلت اليمن يتحكم في مفاصل البحار العربية الجنوبية وهذا يعني سيطرته على طريق التجارة التقليدية البحري المار إلى الهند والعكس.

أما حدود اليمن يحدها شمالاً المملكة العربية السعودية، وجنوباً البحر الأحمر، والبحر العربي وشرقاً الخليج العربي ويماسها الربع الخالي وغرباً البحر الأحمر، ولليمن ساحل يمتد على البحر الأحمر والمحيط الهندي ويبلغ طوله حوالي ٢٢٠٠ كم، ويضم مجموعة من الجزر في البحر الأحمر من أهمها كمران وحنيش، وبريم (ميون) وتوجد جزر أخرى في المحيط الهندي منها جزيرة سقطرى وعبد الكوري، وبذلك مكن لليمن هذا الموقع الفريد أن تتحكم في مدخل البحر الأحمر جنوباً وبأطلالها على المحيط الهندي اكسبها شأنًا كبيراً في تاريخها القديم والحديث والمعاصر وجعل الدول الاستعمارية تتنافس عليها وهذا موضوع بحثنا الصراع البريطاني العثماني ما بين ١٨٣٩ - ١٨٨٦ م ومن خلال ذلك سنوضح التنافس المحموم من قبل تلك الدول الغربية على اليمن.

### المبحث الأول

#### الأوضاع السياسية في اليمن قبل الاحتلال البريطاني

#### أولاً: الأوضاع السياسية في اليمن حتى قدوم البريطانيين

كانت اليمن في هذه الفترة تعيش حالة من التفكك السياسي والحروب الداخلية لهذا فقد سعى الأوروبيون للسيطرة على اليمن، لاسيما بعد أن شهدت أوروبا النهضة الأوربية الحديثة التي أدت إلى تكديس البضائع، وقلة أثمانها مما يتوجب البحث عن أسواق جديدة وكذلك مواد خام للصناعة الحديثة التي شهدتها أوروبا؛ فكان البرتغاليون والإسبان هم السباقين في هذا المجال حيث اتجه الإسبان غرباً، أما البرتغاليون فكان توجههم نحو الشرق من أجل الوصول إلى بلاد الذهب والفضة في الهند والصين، إذ لا يمكن تأمين طريق الهند إلا بالسيطرة على اليمن؛ أهم محطة تجارية في طريق الهند، وبالفعل قامت قوة برتغالية قدمت من الساحل الأفريقي بالنزول في شواطئ عدن في عام ١٥١٣ م - في عهد الدولة الطاهرية وكان أمير عدن آنذاك من قبل الطاهريين، هو (مرجان الطاهري)؛ الذي أمر السكان بعدم الاحتكاك معهم حتى



يتداول الأمر مع السلطان عامر بن عبد الوهاب؛ الذي بدوره يطلب المساعدة من السلطان المملوكي قانصوه الغوري لمواجهة خطر البرتغاليين الذين أصبحوا يسيطرون على البحار الجنوبية ويمنعون السفن العربية والإسلامية من الاتجاه إلى الهند، والأخطر من ذلك أن تواجدهم هناك صار يهدد الأماكن المقدسة في مكة والمدينة<sup>(١)</sup>.

لبي سلطان مصر النداء، إذ وجدها فرصة عظيمة كان ينتظرها منذ زمن؛ لكي يصبح سلطان المسلمين، ويظهر بأنه حامي ديارهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى لكي يوسع نفوذ دولته باتجاه الهند حيث قام بإرسال حملة إلى اليمن لنصرة الطاهريين إلا أنها وصلت متأخرة؛ فقد زال الخطر البرتغالي بسبب صمود ومقاومة اليمنيين له، ولم يُعد هناك حاجة للحملة المملوكية التي وصلت اليمن عام ١٥١٥م<sup>(٢)</sup>، ونزلت في جزيرة كمران، ولما علم السلطان عامر بن عبد الوهاب بخير وصول الحملة المملوكية كتب إلى عامله في الحديدة بعدم التعامل مع قادتها وأفرادها، وأخذ الحذر منهم. لهذا قام قائد الحملة (حسين الكردي) بالتواصل مع أعداء الطاهريين، ومنهم حاكم اللحية (أبو بكر بن مقبول الزيلعي) الذي قدم لهم كافة التسهيلات؛ بما فيها المؤن، وفتح لهم الطرقات فدخلت القوة المملوكية الحديدة، وسيطرت عليها، ولما علم المعارضون للدولة الطاهرية بدخول الحملة المصرية الحديدة؛ انظموا إليها وحاربوا ضد الطاهريين؛ الأمر الذي أدى إلى سقوط الدولة الطاهرية، وسيطر المماليك على اليمن الأعلى، وهكذا فرض المماليك سيطرتهم على معظم أراضي اليمن، وكانوا يتهيئون للتوجه نحو السواحل الجنوبية لمواجهة البرتغاليين هناك، إلا أنه حدث تطور للأحداث حيث قامت الدولة العثمانية القادمة من الأناضول باجتياح مصر والشام؛ فقضت على الدولة المملوكية وقتلت سلطانها قانصوه الغوري عام ١٥١٧م، وبذلك أصبحت أهم البلاد العربية والإسلامية تابعة للسلطان العثماني بما فيها اليمن، لهذا رأى المسلمون أنه يجب على السلطان العثماني أن يحمي البلاد الإسلامية من الخطر البرتغالي، وقد قام بالمهمة شريف مكة عندما سلم السلطان العثماني مفاتيح الحرمين تعبيراً عن مبايعة السلطان العثماني خليفة للمسلمين.

على ضوء ذلك صدرت الأوامر للقائد سليمان باشا بالتوجه إلى البحار الجنوبية لطردهم البرتغاليين منها؛ إذ كان حلم العثمانيين السيطرة على شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن؛ ذلك الموقع الذي يطل على الطريق المؤدي إلى الهند لهذا جاءت المطالب الإسلامية تلبية لمطوحات العثمانيين حيث غادرت الحملة ميناء السويس متجهة نحو البحار الجنوبية، وما أن وصلت إلى السواحل الجنوبية؛ حتى عرج قائد الحملة نحو ساحل عدن، ويذكر أن عدن كان يحكمها آنذاك (عامر بن داؤد الطاهري)؛ إذ استقبل الحملة بالترحاب وفتح أبواب عدن للجنود العثمانيين، وكان ذلك في ١٣ أغسطس ١٥٣٨م؛ إلا أن قائد الحملة غدر بحاكم عدن وقتله مع أصحابه، وسيطر على المدينة<sup>(٣)</sup>.

بعد أن فرض العثمانيون سيطرتهم على عدن وقام سليمان باشا بتعيين حاكم لعدن من قبله توجه بالحملة العثمانية إلى الهند لطردهم البرتغاليين منها، وتحرير التجارة الإسلامية، وما أن وصلت الحملة العثمانية إلى سواحل الهند حتى اصطدمت بالسفن البرتغالية الراسية هناك،

(١) محمد بن أحمد بن آياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ج٢، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٨٤.

(٢) عبد الرحمن ابن الديبع، الفضل المزيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، دار العرب، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٦٠.

(٣) قطب الدين النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، ط٢، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٨٠، ٨١.



وجرت بينهم معركة ضارية انتهت بهزيمة العثمانيين وتحطيم معظم سفنهم، لهذا قرر قائد الحملة العودة سريعاً من الهند، وأثناء العودة وبينما هو في سواحل البحر الأحمر عرّج باتجاه ميناء المخأ، ونزل هو وجنوده في الميناء، ووجه مبعوثاً من قبله إلى حاكم اليمن المملوكي الناخوذة أحمد آخر حكام المماليك في اليمن يطلب منه القدوم إليه لكي يسلمه الخلع السلطانية ويتم تنصيبه حاكماً عاماً لليمن من قبل العثمانيين، غير أنه تلقى النصح من أصحابه بعدم الذهاب خوفاً من أن يغدر به سليمان باشا ويقتله؛ كما فعل مع حاكم عدن؛ إلا أنه لم يأخذ بنصحهم وذهب إلى المخأ لمقابلته فكانت النتيجة أن قتله سليمان باشا مع مرافقيه؛ فتخلص العثمانيون من المماليك نهائياً.

يبدو أن ما قام به سليمان باشا في اليمن كان بغرض تعويض إخفاقه في الهند؛ حتى يظهر أمام السلطان العثماني بأنه حقق إنجازاً للدولة العثمانية، وكان ذلك عام ١٥٣٨م؛ إذ أصبحت اليمن تابعة للعثمانيين وهذا يعتبر بداية التدخل العثماني الأول في اليمن<sup>(٤)</sup>.

وهكذا بقي العثمانيون في اليمن قرابة مائة عام من الزمن؛ إلا أنهم لم يفرضوا سيطرتهم إلا على المدن الساحلية والينادر فقط، لكنهم اضطروا بعد ذلك إلى الانسحاب من اليمن عام ١٦٣٥م بعد أن واجهوا مقاومة عنيفة من قبل اليمنيين، وقد عرفت تلك الحقبة بالتدخل العثماني الأول لليمن، وبعد خروج العثمانيين تولى الأمر الدولة القاسمية التي كانت قد قادت المقاومة اليمنية ضد العثمانيين حيث استطاع أبناء القاسم، وهم الإمام المؤيد (محمد بن القاسم) الذي تولى الإمامة بعد وفاة والده الإمام (القاسم)، وفي عهد (المؤيد) خرج العثمانيون من اليمن وجاء بعده أخيه (المتوكل إسماعيل بن القاسم) الذي بويع بالإمامة بعد وفاة (المؤيد) ومن بعده ابن أخيه (صفي الإسلام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم)، أن يفرضوا سيطرتهم على اليمن كله، حيث وصل حكمهم إلى ظفار شرقاً، وعرفت تلك الفترة الممتدة: ١٦٤٩م - ١٦٩٢م بالفترة الذهبية للدولة القاسمية لأنها كانت قوية ومنيعه؛ إذ أن الأئمة الثلاثة حافظوا على تماسك الدولة وقمع كل التمردات التي قامت ضد الدولة القاسمية وبالتالي بلغت الدولة أوج قوتها وشملت أقصى اتساعاً من عسير شمالاً إلى ظفار شرقاً، ولكن بموت الإمام (المهدي) يبدأ العد التنازلي للدولة القاسمية<sup>(٥)</sup>، أي بمعنى ابتداء من عهد (المؤيد الصغير محمد بن إسماعيل) الذي تولى بعد الإمام المهدي أحمد بن الحسن) وصولاً إلى عهد المهدي عباس ابن المنصور (حسين) حيث خرجت معظم الأراضي والأقاليم اليمنية من تحت سيطرة الدولة القاسمية؛ وأول هذه المناطق هي حضرموت التي أصبحت تحت سيطرة (أل كثير)، ثم بعدها البيضاء، ويافع ولحج، وعدن، والضالع، وأصبح لهذه الأقاليم حكام مستقلين عن الدولة المركزية اليمنية " القاسمية ".

وشهدت اليمن حالة من الفوضى والتمزق وأنقسم الأمراء على أنفسهم، وشهد البيت القاسمي ذاته صراعات كبيرة؛ الأمر الذي أدى إلى إضعافه. لعل أحسن وصف يصف اليمن في ذلك الوقت، هو ما عبر عنه العالم الدنماركي (كارستن نيبور) الذي زار اليمن ضمن بعثة دنماركية عام ١٧٦٣م، في عهد (المهدي عباس)؛ فذكر بعض الأقاليم التي زارها منها عدن التي ذكرها كإمارة صغيرة خارجة عن سلطة الإمام وتتبع أمير الحج، كما أوضح كيف يحكم الإمام المناطق التي تحت سيطرته، إذ يقول: " أن قبائل حاشد وبكيل ليسوا ملزمين بتقديم أي ضرائب، أو إتاوات أو غيرها من الواجبات، بل على العكس أن الإمام كان يقدم لهم الأموال

(٤) المرجع نفسه، ص ١٥٥.

(٥) عبد الإله بن علي الوزير، تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى، تم محمد عبد الرحيم حازم، بدون دار طبع، صنعاء اليمن ١٩٨٥م، ص ١٢٣.



ليكسب ولائهم، كما أنه في عهد الإمام (المهدي عباس) انفصلت أبو عريش وكل المناطق التابعة بما فيها البنادر، وبالتالي أصبحت الدولة القاسمية محصورة في المناطق الداخلية "الجبليّة" فقط<sup>(٦)</sup>.

يذكر أن نيبور لخص حالة اليمن بقوله: "في هذه البلاد أمراء عديدون مستقلون" ويضيف "ربما كان الوضع أفضل لو كان يحكم هذه البلاد أمراء أقل عدداً" يقصد لو كان يحكم البلاد أمير واحد فقط كان أفضل، ويحصر الإمارات والمشيكات المستقلة داخل اليمن بحوالي (١٤) إمارة ومشيحة ولكن هناك أقاليم لم يذكرها نيبور<sup>(٧)</sup>، ويشير المؤرخ (باصرة) قائلاً: "لقد حدد نيبور الجزء الأكبر من أجزاء اليمن السياسية في القرن الثامن عشر؛ لكنه أغفل ذكر بعض الإمارات الجنوبية المستقلة عن الدولة القاسمية مثل: دولة آل كثير في حضرموت والمهرة وظفار، وإمارات العوالق وآل فضل، والأميري، وغيرها من الكيانات السياسية الأخرى آنذاك". ومن ثم فإن القبائل الجنوبية - قبائل يافع على وجه الخصوص كانت لها الدور الأكبر في خوض عدة معارك حاسمة؛ انتصرت فيها على جيوش الدولة القاسمية، مستغلين مظاهر الضعف والانهيار اللذين أصابا حكم أئمة صنعاء، نتيجة التنافس على الإمامة وكثرة الفتن وعدم الاستقرار في نظام الحكم ذاته، إضافة إلى تدمير السكان من طريقة الحكم الزيدي، هذا فضلاً عن مصالح مشايخ الجنوب ونزعتهم الشخصية والقبليّة في إن يصبحوا هم المسيطرين تماماً على شؤون قبائلهم كما إن الفوضى القبليّة العائدة إلى طبيعة المنطقة الجبليّة، وانعدام الروابط الاقتصادية أدت إلى تفكك الدولة القاسمية؛ مما أدى إلى طمع الدول الغربية الاستعمارية في السيطرة على اليمن؛ ذلك الموقع الجغرافي المهم الذي يتحكم في الطريق التجاري بين الشرق والغرب<sup>(٨)</sup>.

ثانياً: الأطماع البريطانية في اليمن قبل احتلالها عام ١٨٣٩م:

لقد سبق وأن أشرنا إلى إن سبب التحولات الاقتصادية الكبرى التي شهدتها أوروبا في مجال الصناعة لاسيما البريطانيين أسوة ببقية دول أوروبا في القرن الخامس عشر يبحثون لهم عن مناطق استعمارية خارج بلادهم تخدم مصالحهم الاقتصادية والاستعمارية؛ لذلك كانت أنظارهم تتجه إلى الشرق، وبالذات البحار الجنوبية صوب الهند الغنية بالثروات، فقام التجار البريطانيون بإقامة علاقات تجارية مع حكام أقاليم الهند وكانت هذه العلاقات التجارية لإخفاء نواياهم الاستعمارية؛ إذ قام التجار البريطانيون بمرح كل مواقع الموانئ الهندية وتقديم التقارير حولها لحكومة لندن، وما أن تبين للبريطانيين أهمية الهند الاقتصادية حتى سمحت الملكة (اليزابيث) إقامة مشروعات تجارية في الهند تمهيداً للسيطرة عليها؛ لتلبية الأطماع البريطانية في الشرق، لم يعمل بهذه المشروعات إلا في عام ١٦٠٩م عندما تحركت حملة إنجليزية تجارية تتكون من سفينتين بقيادة (الكسندر شاربيّة) والمسئول التجاري (جون حورداين)- من لندن عبر رأس الرجاء الصالح حتى وصلت إلى جزيرة (صيرة) في عدن، وطلبت قيادة الحملة من حاكم المدينة العثماني أن يقيموا علاقات تجارية مع المدينة إلا أنه رفض لهذا غادرت الحملة باتجاه

(٦) كارستن نيبور، المادة التاريخية، في كتابات نيبور عن اليمن، ثم أحمد قائد الصائدي، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٤٧. كذلك أحمد فضل العبدلي: هدية الزمان في أخبار ملوك لحج وعدن، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٧) كارستن نيبور، المادة التاريخية، مرجع سابق، ص ١١.

(٨) صالح علي باصرة، حدود اليمن عبر التاريخ، مجلة سبأ، إصدار أقسام التاريخ، العدد (٩)، جامعة عدن، ديسمبر ٢٠٠٠م، ص ١٨٤، للمزيد خالد عبد الله طوحل، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، دار جامعة عدن، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٢٧-٢٨.



الشرق، ومع حلول عام ١٦١٨م استطاع البريطانيون الحصول على امتياز يسمح لهم بحرية التجارة في جميع موانئ البحر الأحمر؛ حيث تم تأسيس مركز تجاري في المخأ يخدم مصالحهم التجارية، ويحفظ حقوقهم، ولم يكتفوا بذلك؛ بل حصلوا على مرسوم من باشا صنعاء العثماني بإقامة مقر للمندوب البريطاني في مدينة المخأ، ومن ذلك التاريخ زاد النشاط البريطاني في المنطقة نتيجة للتسهيلات مع الدول الأوروبية التي لها مصالح في الهند؛ منهم الهولنديين الذين دخلوا ضدهم في حرب استفاد منها الفرنسيون؛ إذ سيطروا على تجارة الشرق، الأمر الذي جعل البريطانيين يجمدون نشاطهم في المنطقة اليمنية حتى نهاية القرن السابع عشر، ولكن مع بداية القرن الثامن عشر أصبح البريطانيون من أقوى الدول الصناعية في أوروبا، وكذلك أسطولهم البحري أقوى الأساطيل الأوروبية، لهذه الأسباب عادوا إلى الشرق أكثر قوة وهيمنة؛ إذ قامت حكومة لندن بعمل عدة إجراءات كان من أهمها إصدار قانون عام ١٧٨٤م يسمى قانون (بيت الهندي (Bitt, Indianhone)، وهو قانون يخول للدولة البريطانية الإشراف على جميع شؤون الشركات البريطانية الموجودة في الهند؛ المدنية والعسكرية والمالية، وبموجبه تم دمج جميع الشركات البريطانية العاملة في الشرق في شركة واحدة وهي (شركة الهند الشرقية) والحكومة البريطانية هي المسؤولة عنها؛ من أجل الإشراف على جميع المستعمرات الشرقية لاسيما في الهند من أجل الوقوف أمام أطماع الفرنسيين المتنامي بشكل كبير في المنطقة.<sup>(٩)</sup>

لقد تجسد ذلك على الواقع بعد أن قام الفرنسيون بقيادة نابليون باحتلال مصر عام ١٧٩٨م بهدف السيطرة على البحر الأحمر، والتقدم نحو الجنوب باتجاه باب المندب لقطع الطريق التجاري نحو الهند، لهذا فقد تحركت حكومة الهند البريطانية بسرعة لمنع تقدم الفرنسيين نحو اليمن؛ إذا تم إرسال حملة عسكرية إنجليزية بقيادة الأدميرال (بلانكت (Blanket)، وبسبب رفض الإمام المنصور (علي) إعطاءهم جزيرة (ميون)؛ لترابط عليها حامية إنجليزية؛ فقد تم تجهيز فرقة عسكرية بقيادة (الكولونيل موري (Murray) لاحتلال الجزيرة عنوة ورفع العلم البريطاني عليها عام ١٧٩٩م وبموجب هذا الاحتلال البريطاني للجزيرة أصبحت جزء من أملاك شركة الهند البريطانية؛ إلا أنه بعد خروج الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١م؛ عادت مصر تابعة للسيادة العثمانية وعندما تأكد البريطانيون أنه لا يوجد خطر يهددهم في المنطقة؛ كما أن الجزيرة تنعدم فيها المياه الصالحة للشرب، بالإضافة إلى مناخها السيئ غادرها البريطانيون ووجهوا كل أنظارهم باتجاه عدن؛ ذلك الموقع المهم الذي يتميز بإطلاله على خليج عدن وباب المندب المضيق الذي يتحكم بطريق الهند مع أوروبا لهذا ركزت الدراسات والمسوحات البريطانية على عدن من أجل احتلالها<sup>(١٠)</sup>

### المبحث الثاني

#### التنافس البريطاني العثماني في اليمن (١٨٣٩-١٨٧٢م)

#### أولاً: التدخل العثماني في اليمن ١٨٣٠ - ١٨٤٩م

في عام ١٨٣٢م حدث تطور في الأحداث وهو اشتداد الصراع بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا حاكم مصر آنذاك، وأعلن الأخير "استقلاله عن الدولة العثمانية وأصبحت

(٩) عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث لأوروبا، ط ٢، دار الفكر العربي الحديث، بيروت ١٩٨٥، ص ١٢، ١٣؛ كذلك جاكلين: بيرين اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعي والشيخ أحمد الجاسر، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م، ص ١٨٨.

(١٠) اف.ال.بلافيير: تاريخ العربية السعيدة أو اليمن ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، وعلي محمد باحشوان، ط ١، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص ١١٨.





المناطق التي يسيطر عليها تابعة له، غير أن أوضاع القوة المصرية المتمركزة في الحجاز أصبحت تسير في اتجاه معاكس لطموحاته خاصة بعد نشوب صراع بين حاكم الحجاز من قبل (محمد علي باشا) الوالي (خور شيد باشا) وأحد قادة الجنود ويدعى (زنار أغا) وهو من أصل عثماني<sup>(١١)</sup>.

تمكن تركي بلماز أحد جنود العثمانيين المتواجدين هناك لمناصرة (زنار أغا)- من اعتقال الوالي (خورشيد باشا وإيداعه السجن، واستغلت الدولة العثمانية الأمور لصالحها فقامت بإصدار فرمان سلطاني عينت فيه (تركي بلماز) والي على الحجاز وبذلك أصبحت الحجاز خارج سيطرة (محمد علي باشا)؛ لم يستسلم الأخير لهذا التطور الجاري في شبه الجزيرة حيث تم تجهيز حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا الذي كان يحكم الحجاز سابقاً فأبحرت هذه الحملة من ميناء السويس في مصر عبر البحر الأحمر حتى نزلت في ميناء ينبع في شبه الجزيرة العربية، وما أن وصلت القوة المصرية بالقرب من الحجاز حتى غادرت القوة العثمانية من الحجاز باتجاه اليمن بقيادة تركي بلماز وفي طريقه استطاع السيطرة على أبو عريش وجيزان والمخا وزبيد، بعد ذلك توجه بلماز إلى الحديدة وسيطر عليها ومنها قام بإرسال مجموعة من قبله حملت رسالة إلى مدينة عدن الخاضعة للسلطان (العبدلي) مفادها أن عدن يجب أن تدخل تحت سلطة (تركي بلماز) المعين من قبل الدولة العثمانية؛ غير أن حاكم عدن أظهر قبوله ذلك نهاراً، إلا أنه ليلاً قام بالهجوم على المجموعة وقتل منهم الكثير مما اضطر البقية إلى الفرار بجلودهم باتجاه المخا، التي يتواجد بها قائدهم (تركي بلماز)، في ذلك الوقت وصلت القوات المصرية القادمة من الحجاز إلى سواحل اليمن حيث قامت بملاحقة (تركي بلماز) وأصحابه، وهاجمت السفن العثمانية الجاثمة في سواحل المخا وقامت بتدميرها، أما (تركي بلماز) فقد استطاع الهروب مع أصحابه على مراكب صغيرة، واستطاعوا النجاة عن طريق سفينة إنجليزية كانت تبحر في البحر الأحمر؛ فتم إنقاذهم وركبوا على متنها إلى بغداد ومن ثم إلى إسطنبول عاصمة العثمانيين<sup>(١٢)</sup>.

وبعد نجاح القوات المصرية في القضاء على التمرد الذي قاده تركي بلماز، وبعد انتهاء أمر تركي بلماز تمكن إبراهيم باشا قائد قوات محمد علي باشا من السيطرة على الحديدة، ثم تقدم نحو المناطق الداخلية في اليمن؛ لاسيما بعد أن سهل له المهمة أمير منطقة حيس حسن بن يحيى؛ إذ واصلت القوات تقدمها حتى مشارف تعز، فتم التواصل مع حاكمها قاسم بن المنصور؛ الذي أعلن نفسه إماماً فيها متمرداً على الإمام علي بن المهدي، وكان الوسيط بين المصريين وحاكم تعز هو النقيب محمد بن أحمد دماج فتمكن من إقناع الهادي قاسم بن المنصور بتسليم تعز سلمياً للمصريين مقابل (١٢) ألف ريال، وإقامة كريمة مع أفراد أسرته في المخا في الحماية المصرية، وأصبحت تعز وكل تهامة خاضعة لسيطرة محمد علي باشا. أما الإمامة في صنعاء فقد ثارت القبائل على الإمام المنصور علي بن المهدي وتم مبايعة فرد آخر من نفس الأسرة القاسمية يدعى عبدالله بن احسن بن أحمد بن المهدي عباس وتلقب بالناصر، وقد حاول منذ الوهلة الأولى جاهداً ضبط الأمور والقضاء على التمردات في كل من أرحب وذمار ويريم وإب، حيث استعد آنذاك لمواجهة خطر القوات المصرية، فقام بتجميع القوات الإمامية (اليمنية)

(١١) بلاخير، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ عبد الحميد البطريق من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م، مطبعة المعرفة، القاهرة ١٩٦٩م، ص ٥٠، ٥١.

(١٢) أحمد بن أحمد النعمي، حوليات النعمي التهامية ١٨٠٠-١٨٤٢م، ط ١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٧م، ص ٢٠. كذلك: حسين عبد الله العمري، المنار واليمن، ١٨٩٨ - ١٩٣٥م، ط ١، دراسة نصوص، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٦م، ص ص ١٠٠، ١٠٨.



في منطقة المخادر استعداداً لطرد المصريين من تعز، ثم جرت بين الطرفين مواجهة عسكرية انتهت بهزيمة الإمام عبدالله بن احسن نتيجة للتفوق العسكري، وكذلك تعاطف اليمنيين مع القوات المصرية، كما فعل أمير العدين آنذاك، مما أدى إلى انسحاب الناصر عبدالله إلى صنعاء وحاول التواصل مع المصريين وإقامة علاقة معهم أسوة بالعلاقة السابقة بين المهدي عبدالله ومحمد علي باشا، إلا أن الظروف لم تساعد الناصر على نجاح هذه المساعي نتيجة التمردات القبلية آنذاك وكان مصيره أن قتل وهو يحاول إخمد هذه التمردات، أما المصريين فقد اصبحوا يسيطرون على تعز وإب وعلى موانئ تهامة على مقربة من عدن<sup>(١٣)</sup>.

أصبحت جميع مناطق الحجاز خاضعة لسلطة محمد علي باشا وكذلك معظم مناطق اليمن؛ لذلك غدا البحر الأحمر بحيرة مصرية؛ لاسيما بعد أن قام محمد علي باشا بمنع جميع السفن البريطانية القادمة من الهند من التقدم باتجاه موانئ البحر الأحمر وبسيطرة قواته على ميناء المخا القريب من المدخل الجنوبي للبحر الأحمر؛ مما شكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية خاصة على طريقها التجاري الذي يربطها بالهند، ويجب الإشارة هنا أن محافظ المخا من قبل محمد علي باشا وجه رسالة يخبره أن البريطانيين يريدون احتلال عدن هذا على الصعيد العسكري، الأمر الذي دفع الساسة البريطانيين إلى التحرك بشكل سريع ضد توسعات (محمد علي باشا) ومن الجانب السياسي فقد تمكنوا من حشد تأييد أوروبي لوقف أطماع محمد علي باشا في إقامة إمبراطورية عربية تحت حكمه المباشر، وتكون مصر عاصمتها، من خلال مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م الذي كان من أهم نتائجه انسحاب قوات (محمد علي باشا) من جميع المناطق التي يسيطر عليها وعودة هذه المناطق إلى حظيرة الدولة العثمانية وبقت مصر فقط تحت حكم محمد علي باشا ولأبنائه من بعده بشرط أن يكون خاضعاً للدولة العثمانية، وبذلك تم انسحاب القوات المصرية من جميع المناطق وهذا ما سعى إليه البريطانيين حتى يخلو لهم البحر الأحمر من أي تهديد قد يهدد مصالحهم<sup>(١٤)</sup>.

وبعد انسحاب القوات المصرية من اليمن قامت بتسليم سهل تهامة والموانئ التابعة له وكذلك بعض مناطق المخلاف السليماني للشريف الحسين بن علي حيدر الذي كان أحد العاملين المخلصين للقوات المصرية، أما منطقة عسير فإنها ظلت كما كانت قبل تواجد القوات المصرية تحت حكم الأمير محمد بن عائض هذا كان حال سهل تهامة والمخلاف السليماني، أما الوضع في المناطق الجبلية فإنه بعد مقتل (الناصر عبد الله بن احسن) تولى الإمامة فيها محمد بن المتوكل أحمد عم (علي بن المهدي) حيث استطاع بحنكته وحزمه من ضبط الأمور في صنعاء، وكذا أخمد الاضطرابات والفتن في معظم مناطق اليمن الجبلية (ذمار - إب) إلا أنه سرعان ما توفي وعادت الإمامة من جديد للإمام (علي بن المهدي) وهذه هي المرة الثانية يتولى الإمامة لكنه كان قليل الخبرة، وليس لديه تجربة وبعد عدة شهور استطاع (محمد بن يحيى) من هزيمة (علي بن المهدي) والسيطرة على الإمامة في صنعاء، وتلقب بالمتوكل<sup>(١٥)</sup>.

(١٣) عبدالله محمد الحبشي، حوليات يمانية، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ٧٧، كذلك: محمد بن محمد بن أحمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (جزئين) المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٣١، ص ٧٢.

(١٤) عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي باشا ١٨١٩-١٨٤٠م، ط ١، مج ١، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٩٨٢، ص ٥١٣؛ حسين مؤنس، الشرق الإسلامي العصر الحديث، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٩٦. كذلك بلافير، مصدر سابق، ص ١٤٣.

(١٥) ينظر: الكبسي، مصدر سابق، ص ٣٠٨. كذلك: حسين بن عبد الله العمري، مصدر سابق، ص ٢٧٦، ٣٠٥.



وبعد سيطرة الإمام محمد بن يحيى على مقاليد الأمور في صنعاء عاصمة الإمامة؛ قضى على جميع الفتن في جميع المناطق الجبلية حيث لم تمض فترة قليلة حتى شعر بالحنين إلى سهل تهامة وموانئ البحر الأحمر وأنه لا بد من استرجاعها إلى سلطة الإمامة لكون هذه المناطق جزء لا يتجزأ من أراضي السلطة الإمامية في صنعاء، لذلك قام بتجهيز جيش من القبائل وعين عليه ولده، وقد تمكن هذا الجيش من السيطرة على سهل تهامة، وكذلك القبض على الحسين بن علي (حيدر) ووضع في الأسر، وبذلك أصبحت مدن زبيد والمخا والمناطق الأخرى تحت قبضة السلطة الإمامية، وقام بتعيين حكام من قبله، إلا إن ولد الحسين بن علي حيدر وعمه، (الحسن)، قاما بطلب العون من حاكم عسير القوي (محمد بن عائض) إلا أنه رفض؛ لأنه هو الآخر كان يطمح في السيطرة على المنطقة، لكنهما وجدا النصرة من قبل قبائل يام اليمينية حيث شنوا هجوماً مباغتاً على القوات الإمامية المتحركة في زبيد واستطاعوا هزيمتهم وكذلك تحرير (الحسين بن علي حيدر) من الأسر وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على زبيد عام ١٨٤٨م، وكذا تمكنوا من قطع الطريق بين القوات الإمامية القادمة من صنعاء والقوات المسيطرة على المخا ونواحيها وبذلك تشتت قوات الإمام وبالتالي انسحابها باتجاه صنعاء<sup>(١٦)</sup>.

وبالرغم من عودة الأمور في تهامة إلى طبيعتها وسيطرة الشريف الحسين بن علي حيدر عليها إلا أن هذه الأحداث أصابته بعقدة نفسية وخلقت عنده روح سيئة لم يستطع التحرر منها، لذلك قام بمراسلة السلطان العثماني يطلب منه أن يرسل من قبله رجل يتولى الأمور في تهامة لأنه رأى أن الدولة العثمانية هي صاحبة الحق في حكم هذه المناطق. قام السلطان على الفور بإرسال توجيهاته إلى والي الحجاز توفيق باشا وأمير مكة محمد بن عون بالتوجه إلى اليمن على رأس حملة عثمانية لتتولى زمام الأمور فيها وبالفعل وصلت الحملة العثمانية إلى ميناء الحديدة في إبريل ١٨٤٩م فكان في استقبالهم الشريف الحسين بن علي حيدر حيث سلم لهم كافة المناطق التي يسيطر عليها سلمياً وبذلك أصبحت تهامة وموانئها تحت سيطرة الدولة العثمانية، وعندما وصل الخبر إلى الإمام (محمد بن يحيى) في صنعاء سارع في إرسال مبعوث من طرفه لمقابلة تهامة إلى قائد الحملة العثمانية يعرض فيها خضوع السلطة الإمامة للدولة العثمانية، وكان هذا التصرف السريع من قبل الإمام (محمد بن يحيى) خوفاً من أن ينفرد عدوه الشريف الحسين بن علي حيدر بالدولة العثمانية ويحارب الإمامة الزيدية؛ إلا أن الأمور انتهت بالمفاوضة بين الطرفين وأرسل السلطان العثماني فرمان يوضح فيه أن اليمن أصبح ولاية تابعة للدولة العثمانية وأن يتولى الإمام محمد بن يحيى الأمر نيابة عن السلطان وكان ذلك في يوليو ١٨٤٩م<sup>(١٧)</sup>.

ومن نتائج المفاوضات بين العثمانيين والإمام محمد بن يحيى هو تسليم جميع المناطق التي تسيطر عليها الدولة الإمامية للقوات العثمانية؛ التي وصلت إلى العاصمة صنعاء في يوليو ١٨٤٩م وكان الإمام وحاشيته في استقبالهم؛ في منطقة عصر غربي صنعاء، فتم دخول القوات العثمانية العاصمة دون مقاومة تذكر وقام الإمام بتسليم جميع القصور والدور التابعة للإمامة

(١٦) محمد بن عيسى العقيلي، المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، ج ٢، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ص ٥٢١. فاروق أباطة، الحكم العثماني لليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م، ط ٢، دار العودة بيروت، ١٩٧٩، ص ٤٢.

(١٧) عبدالله محمد الحبشي، مرجع سابق، ص ١٧١. كذلك: محمد زيارة، مصدر سابق، ص ٣٤٦. أيضاً: الكبيسي، مصدر سابق، ص ٣١٠.



وكذا القلاع والأبراج الخاصة بالمراقبة والحراسة إلى الجنود العثمانيين، وبذلك سيطرت القوة العثمانية على العاصمة صنعاء<sup>(١٨)</sup>.

### ثانياً: موقف بريطانيا من التدخل العثماني في محميات عدن (١٨٣٩-١٨٧٢)

في ١٩ يناير تم احتلال عدن عسكرياً والسيطرة عليها ولكي يظهر البريطانيون بأنهم جاءوا لخدمة أهالي عدن قام الكابتن (هينز) بمعالجة جميع جرحى الحرب، وزار بيوت القتلى، وقدم لهم المعونة المالية بالإضافة إلا أنه أصدر عفواً عاماً عن جميع المقاتلين اليمنيين الذين قاتلوا ضدهم، كذلك دعى جميع أهالي عدن للعودة إلى بيوتهم وممارسة حياتهم الاعتيادية ومن خلال هذه الأعمال استطاع الكابتن (هينز) أن يكسب احترام سكان عدن آنذاك<sup>(١٩)</sup>، وبعد أن ضمن هدوء سكان عدن من أي اعتداء عليهم؛ شرع بتنفيذ الجزء الآخر من خطة احتلال عدن وهو تحصين المدينة من عدة جوانب؛ حيث قام ببناء القلاع والتحصينات على جميع التلال المحيطة بعدن، كذلك عمل على توزيع الجنود على طول أبراج المراقبة التي تم تشييدها لضبط تحركات القبائل المجاورة لعدن التي تقوم بها ضدهم، وبعد أن توصل مشايخ وسلطين المناطق المجاورة لعدن لاسيما الفضلي والعبلي بأنه ليس بمقدورهم الوقوف ضد بريطانيا في عدن نتيجة للقوة العسكرية التي تمتلكها هناك وفشلهم في عدة محاولات سابقة لطرد البريطانيون من عدن لهذا اضطروا مجبرين توقيع اتفاقيات الصداقة معها للحفاظ على الرياسة وكذا حصولهم على دعم بريطانيا، وبموجب هذه الاتفاقيات استطاع البريطانيون أن يجعلوا حكام تلك المناطق خاضعين لهم وهذا يعد بداية التدخل البريطاني في مصير اليمن لكي يثبتوا لحكام المناطق اليمنية بأنهم الملاك الشرعيين لهذه الأراضي، ومع أخذهم التوقيعات على الاتفاقيات كانوا يعملون على إدخال الرضى في نفوس هؤلاء الحكام بمنحهم الألقاب، والنياشين والرواتب الشهرية، كانت تلك الاتفاقيات تهدف إلى السيطرة على المناطق المجاورة لعدن دون إراقة أي قطرة دم؛ وبالنظر لمضمون تلك الاتفاقيات ليس فيها أي بنود أو شروط يلتزم بها البريطانيون لحكام المناطق بل أن الشيء الوحيد فيها هو قانون الاستعمار (الغاب)<sup>(٢٠)</sup>.

أن الهدف من هذه الاتفاقيات ليس حماية حكام المناطق اليمنية من أي اعتداء بقدر ما هو حماية عدن وتحصينها من هجمات المقاومة اليمنية التي تخرج من تلك المناطق هذا من جهة، ومن جهة أخرى ضمان وصول الحاجات الأساسية لعدن من ماء وبقوليات .. الخ، لكون عدن منطقة غير زراعية لذلك فهي تعتمد على حاجاتها الأساسية من سلطنة (العبلي) و(الفضلي) والمناطق الأخرى؛ ولكي يضمن البريطانيون وصول هذه المواد بصورة دائمة إلى عدن؛ كان عليهم أن يؤمنوا طريق القوافل التجارية المتوجهة إلى عدن من أي اعتداء؛ حسب الاتفاقيات المبرمة معهم، كما أن البريطانيون لم يكتفوا بالمناطق القريبة فقط، لكنهم وسعوا دائرة علاقتهم مع القبائل اليمنية؛ حيث تم توقيع اتفاقية مع الشيخ (الشرجبي) صاحب لواء الحجرية؛ المنطقة الحدودية بين إمارات ومشيخات الجنوب، وبين سلطة الأئمة في الشمال، وكانت منطقة الحجرية تتحكم في طريق القوافل المصدرة لمحصول البن، والهدف من الاتفاقات مع الشيخ (الشرجبي) هو لتحويل تجارة البن إلى ميناء عدن بدلاً من الحديدة، وبالتالي زيادة النشاط التجاري في ميناء عدن، وهذا ما يصبوا إليه البريطانيون، غير أن سياسة اللين الذي انتهجها هينز (Hanes) مع المناطق القريبة من عدن كان سبب رفض حكومة الهند تقديم تعزيزات

(١٨) عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، ط٢، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان،

١٩٨٣م، ص ٢١٤.

(١٩) بلافيير، المرجع السابق، ص ١٦١.

(٢٠) المرجع نفسه، ص ١٦٣.



عسكرية إلى عدن لانشغالها في مناطق أخرى من العالم لهذا استخدم البريطانيون سياسة (فرق تسد) وهو أسلوب جديد وضعه البريطانيون لخدمة مشاريعهم الاستعمارية من خلال دعم وتشجيع النزاعات، والصراعات المسلحة بين أفراد القبائل بدعم طرف موالي لهم على الطرف المعارض لزيادة الشرخ الداخلي، وهذا يؤدي إلى تفرق القبائل اليمنية، وترك المستعمر يفعل ما يريد باليمن، وقد استمر البريطانيون على هذه السياسة حتى بعد تغيير (هينز) بمقيم جديد عام ١٨٥٤م؛ يعرف بـ (كلارك Clarka) ومن بعده المقيم (أوترام Outram) ويذكر أن هذا المقيم هو واضع الاستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط والهند؛ إذ أنه في فترة عمله كمقيم سياسي في عدن عمل على اختيار مساعدين له من أناس ذوي كفاءة عالية وخبرة كبيرة في المستعمرات البريطانية، بحيث تمكنوا من ربط عدن بشركة الهند البريطانية ربطاً كاملاً بتكوين الهيئات، وتشكيل المكتبات الإدارية وتنظيم عملهم، ومن هؤلاء المساعدين الكابتن (بلايفير playfair) وبهذه الأعمال التي قام بها (أوترام) تمكن من إظهار واجهة عدن الاقتصادية، وزادت شهرتها وأهميتها التجارية على مستوى الشرق الأوسط - آنذاك. لكونها أصبحت قاعدة مهمة على مدخل البحر الأحمر، ومنذ ذلك الحين بدأت الأضواء البريطانية تسلط على عدن وتظهر أهمية عدن كمناطقة حيوية زاهرة بالنشاط التجاري، وكإحدى أهم المناطق الاستعمارية البريطانية في الشرق الأوسط<sup>(٢١)</sup>.

هكذا بعد أن ثبت البريطانيون سيطرتهم على عدن تمكنوا من مراقبة الأحداث والنزاعات الجارية في المناطق القريبة من عدن من خلال إرسال دورياتهم البحرية إلى جميع سواحل البحر الأحمر وسواحل شرق أفريقيا، وبهذه الطريقة راقب البريطانيون كل الأحداث عن كثب لاسيما في الجزء الآسيوي من ساحل البحر الأحمر في عسير والحجاز وكذلك سواحل البحر الأحمر الأفريقي في مصر والسودان والحبشة والصومال، إلى جانب هذا العمل قاموا بالتقرب من جميع رؤوسا تلك المناطق الواقعة على الطريق البحري المؤدي إلى الهند وعقدوا معهم اتفاقيات صداقة وتعاون وتم استخدام سياسة اللين في التعامل مع حكام تلك المناطق بمنحهم الألقاب والنياشين، والرواتب الشهرية<sup>(٢٢)</sup>، وهذا الأسلوب القديم دائماً ما استخدمه البريطانيون لتنفيذ طموحاتهم الاستعمارية، إذا تطلب الأمر استخدام القوة العسكرية كانوا يستخدموها لكن عند الضرورة القصوى لهذا كانت بريطانيا الدولة الأكثر نجاحاً في تنفيذ هذه السياسة في المستعمرات، وعلى الرغم من ذلك النجاح إلا أن البريطانيون واجهوا عدة مشاكل في هذه المناطق منها حقوق السيادة العثمانية فيها وكذلك طول الامتداد المصري في سواحل البحر الأحمر وأفريقيا.

ولمواجهة الأطماع العثمانية والفرنسية في منطقة البحر الأحمر وشرق أفريقيا قام البريطانيون بعدة إجراءات لتأمين عدن من أي تهديد خطير قد يحدث إذا حصلت مواجهة مسلحة مع أي طرف؛ أهمها شراء منطقة عدن الصغرى البريقة (حالياً من شيخ العقارب، مقابل مبلغ معلوم من المال، وتقع هذه المنطقة في جهة الغرب من عدن، وكانت تابعة آنذاك لشيخ العقارب، وبواسطة الأغراء بالمال، وكذلك مساعدته في الاستقلال عن السلطنة (العبدلية) تمكنوا من السيطرة على هذه المنطقة بالطرق الملتوية والوعود الكاذبة التي تم إعطائها للعقربي، وبالإضافة إلى سيطرتهم على المنطقة سلمياً فإنهم قاموا بالاحتلال العسكري المباشر لرأس عمران والمناطق المجاورة لها، وتبرز أهمية هذه المناطق التي سيطر عليها البريطانيون بأنها

(٢١) أمين الريحاني، ملوك العرب، ط٨، دار الجيل، بيروت؛ ١٩٨٥، ص٣٣٩.

(٢٢) عبدالله أحمد الثورة الجنوب اليمني من الاحتلال إلى الاستعمار، ط١، مطبعة المدني القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٦.



تعد خطوط دفاعية لمدينة عدن، كما أنه إذا وقعت في أيدي قوى أخرى فإنها ستشكل تهديداً مباشراً على مدينة عدن ومينائها الحيوي وبهذه الإجراءات تمكن البريطانيون من تأمين خطوطهم الدفاعية عن مدينة عدن وتحصينها، وكذلك تحصين طريقهم التجاري الذي يربطهم مع أهم مستعمراتهم (الهند)، وهكذا أصبحت البحار الجنوبية آمنة من أي تهديدات فرنسية أو أوروبية، وبهذه الأساليب الاستعمارية التي استخدمها البريطانيون في سيطرتهم على المناطق التي تنوعت ما بين التدخل العسكري المباشر (احتلال) إلى سياسة اللين، والرواتب، والنياشين لحكام المناطق، وهكذا كان البريطانيون يرون عدن أهم محطة تجارية على الطريق المؤدي للهند، وزادت أهميتها لديهم بشكل كبير عند افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م؛ فمنذ ذلك التاريخ غدت عدن محمية تجارية كبرى بسبب زيادة النشاط التجاري والاقتصادي فيها؛ حيث أن موقعها المتوسط كان همزة وصل بين شبه الجزيرة العربية، وشرق أفريقيا لهذا استخدمها البريطانيون لتصريف منتجاتهم التجارية مما أدى إلى زيادة الدخل القومي للبريطانيين، كما أصبحت عدن محطة استراحة للسفن العابرة بين الهند وأوروبا؛ حيث تتزود بالوقود والمؤن والماء، ويجد التجار فيها سوقاً للبيع والشراء، ومن هنا أصبحت عدن من أهم المستعمرات للإنجليز، وإلى جانب التجارة فيها كانت المدينة بموقعها الطبيعي المحصن بالجزال تسمح للإنجليز باستخدامها كقاعدة بحرية عسكرية لحماية طريق تجارتهم المؤدي إلى الهند مما جعل البريطانيون يعدون من أقوى الدول في العالم في ذلك الوقت.

إن السياسة البريطانية في منطقة شبه الجزيرة العربية؛ واليمن على وجه الخصوص قد تغيرت كثيراً؛ لاسيما بعد أن أصبح الوجود العثماني على مقربة من عدن في مناطق ماوية والحجرية وجنوب قعطبة وهي مناطق متاخمة لأراضي الحواشب والسلطنة العبدلية، وكذلك أراضي الأميري؛ حيث إن خطر العثمانيين يكمن في السيطرة على هذه المناطق، وقد ظهرت نواياهم عندما قام الحاكم العثماني بتوجيه عدة رسائل يطلب من شيوخ وأمراء هذه المناطق تقديم الولاء والطاعة للسلطان العثماني، مما سبب ذلك إزعاجاً للإنجليز المتمركزين في عدن؛ بل أن تدخل العثمانيين في هذه المناطق لم يقتصر عند إرسال الرسائل فقط، بل من خلال التدخل العسكري المباشر في المسيمير والحوطة؛ فاصبح الأمر لا يحتمل السكوت عليه، إلا أن هناك تضارب في السياسة البريطانية أدى إلى فجوة بين حكومة الهند في بومباي والحكومة المركزية في لندن، فحكومة لندن تقف بجانب الدولة العثمانية في حروبها ضد أطماع الروس وضد حاكم مصر (إسماعيل باشا)، أما حكومة الهند فإنها تتخذ موقف عدائي ضد العثمانيين إلى درجة أنها رفعت حالة التأهب والاستعداد لمواجهة التدخل العثماني المتزايد في مناطق القبائل المتحالفة مع البريطانيين، وأذرت الباب العالي عبر سفيرها هناك إنه إذا لم يتوقف التدخل العثماني فإنها قد تشن حرباً عسكرياً ضد العثمانيين في اليمن<sup>(٢٣)</sup>.

نتيجة للموقف المتشدد من قبل حكومة الهند البريطانية أضطر الباب العالي إلى سحب التواجد العثماني من مناطق المحميات عدا بعض قرى الأميري؛ تقادياً لأي صراع مع البريطانيين في عدن حيث أن سياسة البريطانيين كانت أبعاد العثمانيين عن المناطق القريبة من عدن للمحافظة على الوضع السابق قبل مجيء العثمانيين، مع التنازلي عن التوسع المصري في سواحل البحر الأحمر وكذلك الساحل الشرقي لأفريقيا؛ لاسيما في الصومال خاصة بين عامي ١٨٦٧م - ١٨٧٥م بل اعتبروا هذا التوسع يصب في خدمة الأهداف البريطانية وجعلوا كل تركيزهم في المحافظة على عدن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإطار العام للسياسة

(٢٣) سلطان ناجي، مرجع سابق، ص ١٢٩. فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩ - ١٩١٨ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٧م، ص ٤١٢.



البريطانية في ذلك الوقت توجه أيضاً نحو المحافظة على السيادة العثمانية في تلك النواحي؛ طالما أنها لا تضر التواجد البريطاني في البحر الأحمر وعدن، وكذلك نحو الاهتمام بالمصالح البريطانية في مصر<sup>(٢٤)</sup>.

إن السياسة التقليدية التي أتبعها البريطانيون آنذاك، والتي فرضت عليهم التعامل مع الدولة العثمانية؛ أصبحت غير مفيدة؛ لاسيما بعد ضعف العثمانيين في أوروبا أمام الثورات المتلاحقة في مناطق نفوذها، وكذلك الصراع المستمر مع الروس من أجل السيطرة على المضائق البحرية في البحر الأسود، كل هذه الأحداث جعلت العثمانيين عاجزين عن تعزيز وجودهم في أوروبا؛ مما أدى إلى نشوء مخاوف لدى البريطانيون حول ما إذا استطاع الروس السيطرة على البحر الأسود؛ ومن ثم السيطرة على البحر المتوسط هذا الأمر جعل البريطانيون ينظرون إلى هذه الأحداث أنها قد تشكل خطراً يهدد مصالحهم في الشرق الأوسط، ويهدد طريق تجارتهم إلى الهند؛ قناة السويس بالذات، ذلك المضيق الاستراتيجي الذي يربط تجارة أوروبا بالهند، هنا أنتهج البريطانيون سياسة جديدة وهي تقسيم أرث الدولة العثمانية في أوروبا بين الدول الأوروبية، وهذا النهج يعد تطور جديد في أسلوب البريطانيون الذين كانوا يحافظون على السيادة العثمانية، حيث أنهم في عام ١٨٧٥م عندما قام الخديوي إسماعيل ببيع أسهم مصر في شركة قناة السويس فإن البريطانيون هم الذين أخذوا حصة مصر في القناة، خوفاً من وقوع الأجزاء الآسيوية التابعة للعثمانيين بأيدي قوى معادية لهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى للوقوف ضد الخطر الروسي الذي أصبح يهدد البريطانيون في البحر المتوسط، لهذا سارع البريطانيون بهذه الخطوات لحصر إرث الدولة العثمانية ولكسب ود الدول الأوروبية الكبرى؛ لأنهم شاركوهم في الغنيمة وكذلك لخدمة مصالحهم الاستعمارية التوسعية وعلى الرغم من الطابع الجديد في السياسة البريطانية الذي تم استخدامه في التعامل مع الدولة العثمانية؛ إلا أنهم ظلوا يحافظون على أواصر العلاقة القوية مع العثمانيين؛ لاسيما وأن العثمانيين يتحكمون في مفاتيح السياسة في كثير من الأقاليم العربية عن طريق استخدام شعار الإسلام، فقد رأى البريطانيون أنهم إذا ما دخلوا بصراع مع الدولة العثمانية؛ فإن ذلك قد يؤدي إلى إثارة المشاعر الإسلامية ضدهم في كل المناطق التي يسيطرون عليها في اليمن وشبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر ومصر وإلى زيادة نقمة العرب عليهم، مما قد يستغله العثمانيون مع وجود المتحمسين لإعلان الجهاد ضد البريطانيون قد يؤدي إلى انتشار الثورات ضدهم، وهذا سيكون في غير صالحهم لكونهم يفكرون في كسب ود العرب حفاظاً على مصالح تجارتهم في الهند، لهذا لم يمارسوا أي ضغط على الباب العالي بشأن التدخل العثماني في الإمارات الجنوبية، بل أنهم أكتفوا بالاحتجاج فقط لدى الباب العالي.

ويذكر أن العثمانيين غادروا من كل المناطق التي دخلوا إليها، إلا من إمارة الضالع، المنطقة الوحيدة التي أبقى فيها العثمانيين بعض الموظفين والجنود من أجل مساعدة مشايخ القرى المتعاونة مع الدولة العثمانية؛ إذ كان يرى كل من الطرفين أحقيته في السيادة على الإمارة، لأن هذه المنطقة بعيدة جداً ولا تشكل أي خطورة على عدن، ولأن هناك مسائل متداخلة فيها، لذلك حتى البريطانيون لم يكونوا مسرعين في أمر انسحاب العثمانيين من الضالع لهذا استمر الحال كما هو عليه في الضالع، أي ظل التواجد العثماني فيها مستمراً<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٤) سلطان ناجي، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٢٥) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي - ١٥١٦ - ١٩٢٢م، ط ١، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ١٩٨٤م، ص ٤٤٤.



أما بخصوص التدخل العثماني في المناطق الشرقية من اليمن؛ حضرموت على وجه الخصوص فإنه محدود؛ ومن خلال علاقتهم بالسلطنة في حضرموت عن طريق أشرف مكة، فتأثير سادة حضرموت يتركز في وادي حضرموت أي الدولة الكثيرة؛ حيث قامت علاقة بين العثمانيين والدولة الكثيرة، أما الساحل فإن السيطرة فيه كانت لكل من صلاح الكسادي على المكلا وعضو القعيطي على الشحر، وكان بينهما صراع محموم بسبب طموحات القعيطي للسيطرة على كل سواحل حضرموت، مما أدى ذلك إلى عرقلة حركة التجارة في هذه الموانئ؛ حيث تضرر البريطانيين من هذا الصراع بين الطرفين، الأمر الذي جعل حكومة الهند تعطي تعليمات للمقيم البريطانيين في عدن الجنرال (شneider) عام ١٨٧٦م بضرورة التدخل في حضرموت من أجل حل الصراع بين القعيطي والكسادي، وبالفعل استطاع (شneider) النجاح في تحقيق هدنة تستمر لمدة عامين بين الرجلين من هنا بدأ التدخل البريطانيين في السواحل الشرقية لليمن، وكان هذا التحرك البريطانيين نتيجة لخوفهم من أن تقع هذه الموانئ بأيدي العثمانيين أو أي قوة أجنبية أخرى؛ بحيث يهدد مصالح البريطانيين في الخليج العربي وعدن، وكذلك يهدد الطريق التجاري المؤدي للهند، ومن الأفضل أن تكون هذه الموانئ تحت سيطرة حليفهم القعيطي؛ لأن ذلك يشكل ضماناً لهم بأن الموانئ أصبحت في أمان<sup>(٢٦)</sup>.

ركز البريطانيون كل جهودهم في دعم القعيطي ومساندته من خلال الدعم المالي والعسكري بعد أن رفضت الشخصية الوطنية صلاح الكسادي أن تدخل في أحضان البريطانيين أسوة بزميله القعيطي؛ الذي يظهر أنه مشروعهم في حضرموت؛ حيث يرتبط بعلاقة قوية مع البريطانيين منذ أن كان في منطقة حيدر أباد في الهند، ومن هنا فإن السياسة البريطانية كانت إلى جانب السلطان القعيطي؛ فقد تحركت سفينة حربية إنجليزية من عدن لمساندة حليفهم ضد الكسادي؛ وانتهى هذا الصراع في حضرموت الساحل بسقوط إمارة الكسادي في المكلا بأيدي البريطانيين وحليفهم القعيطي، وانتهى الأمر بصلاح الكسادي بالنفي إلى زنجبار في أفريقيا حتى وفاته، لهذا أصبحت كل الموانئ الشرقية بأيدي البريطانيين، وهو أمر يوضح مدى تمسك البريطانيين بكل الأجزاء والموانئ الواقعة على طريقهم الممتدة من قناة السويس حتى بومباي في الهند وبسيطرة البريطانيين على حضرموت استطاعوا أن يأمّنوا طريقهم البحري إلى الهند من أي تهديد عثماني أو أوروبي<sup>(٢٧)</sup>.

وبعد أن تمكن البريطانيين من فرض سيطرتهم على موانئ حضرموت، وعلى الموانئ الجنوبية والشرقية اكتملت المرحلة الأولى من السياسة الاستعمارية البريطانية، أما المرحلة الثانية فقد تمثلت بصدور تعليمات من حكومة الهند بضرورة حل جميع المشاكل الشائكة مع العثمانيين حتى يتم قطع الطريق أمام المطالب العثمانية بأي جزء أو منطقة في الأراضي التي يسيطر عليها البريطانيين، وكذلك يعطون حجة شرعية لتواجدهم؛ فكان من الضروري التفاوض مع العثمانيين لسد جميع الذرائع العثمانية؛ فقد كلف المقيم البريطانيين في عدن في عام ١٨٧٧م بالتواصل مع الحاكم العثماني العام لليمن في صنعاء من أجل تقريب وجهات النظر بين الجانبين، في سبيل الوصول إلى الحل النهائي وتحديد الحدود بين الإمارات المتحالفة مع البريطانيين وبين الجانب العثماني المسيطر على النواحي الشمالية، وبسبب أهمية هذه المسألة

(٢٦) محمد عبد الكريم عكاشة، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، مجلة سبأ، العدد

(٣)، إصدار أقسام التاريخ، جامعة عدن السنة الثالثة، أبريل ١٩٨٧، ص ٣٨، ٣٩.

(٢٧) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، ط ٢، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٣م، ص ١٣٤، ١٣٦. عكاشة، مرجع سابق، ص ١٥٥.





للإنجليز فقد أمرت حكومة الهند المقيم السياسي في عدن أنه من المهم جدًا تحديد الحدود ولو أضطر الأمر إلى تحديدها من الجانب البريطاني فقط<sup>(٢٨)</sup>.

رأي البريطانيون إنه من الأفضل لهم أن يتخذوا إجراءات أكثر صرامة من ذي قبل ضد التدخلات العثمانية المتكررة وكذلك ضد مطالبهم المستمرة في مناطق شبه الجزيرة العربية، لهذا توصلت حكومة الهند والمقيم السياسي في عدن (شنيدر) إلى الأخذ باقتراح الجنرال هنتر Hunter مساعد المقيم السياسي في عدن - آنذاك، إلى تغيير نمط المعاهدات مع الإمارات التسع من معاهدات صداقة إلى حماية يقوم بإجرائها البريطانيون مع تلك الإمارات، بحيث توضع شروط جديدة تكون ملزمة ومقيدة لتلك القبائل لصالح البريطانيون حتى تكون سند شرعي وقانوني للإنجليز لمواجهة أي مطالب عثمانية أو أي جهة أخرى، لكون المعاهدات السابقة معاهدات صداقة وتعاون ولا تلزم الإمارات التسع بأي التزامات للإنجليز، لذلك يحق لأي قبيلة إجراء أي في علاقات مع أي جهة أخرى، إذ أنها تعد معاهدات غير قانونية ولا يعمل بها<sup>(٢٩)</sup>.

ومن أجل تنفيذ السياسة البريطانية الجديدة في المنطقة تم الاتفاق بين السلطان العبدلي والمقيم السياسي في عدن عام ١٨٧٨م حول منطقة الشيخ عثمان، وبالذات شراء الأرض الممتدة ما بين العماد والحسوة، وكان الهدف من ذلك الاتفاق هو ربط حكام المناطق المجاورة لعدن وأمرائها بمعاهدات جديدة تلزمهم بالسيادة البريطانية على هذه المناطق، وبالفعل نجح البريطانيون في ذلك، فقد استطاع المقيم السياسي شراء الأرض من السلطان العبدلي، وتم نقل السكان المدنيين اليمنيين الموجودين في كريتر إلى هذه الأرض الواقعة ما بين العماد والحسوة، وبهذا أصبحت مدينة كريتر منطقة عسكرية لا يتواجد فيها سوى الضباط والجنود البريطانيون فقط، حيث منع السكان اليمنيين من دخولها، بل تم إقامة نقاط مراقبة من الحاميات البريطانية لمنع أي تسلل قد يحصل إلى كريتر، إن الخطوات التي قام بها البريطانيون في عدن لم تكن لمواجهة الخطر العثماني وحسب؛ بل كذلك الخطر الفرنسي والإيطالي الذي أصبح على مسافة قريبة من عدن؛ حيث انحصرت تواجد الفرنسيين في منطقة الشيخ سعيد على ساحل البحر الأحمر وكذلك في جيبوتي والصومال، أما الطليان فقد سبق لهم أن حاولوا احتلال جزيرة سقطري إلا أنهم فشلوا لكنهم استطاعوا أن يفرضوا نفوذهم على ميناء مصوع في أرتيريا المقابل لعدن من جهة الغرب، والبريطانيون لم يكونوا غافلين عن التحركات الفرنسية الإيطالية؛ إذ تخلصوا من التواجد الفرنسي من خلال دعم أحقية وسيادة الدولة العثمانية على الشيخ سعيد؛ فلا يحق لأي جهة أو شيخ أن يتصرف بالشيخ سعيد، لذلك تم إفشال مخطط الفرنسيين فيه، أما بخصوص الخط الملاحي الذي يربط أوروبا بالهند فقد قام البريطانيون بتأمين هذا الخط من خلال احتلال عدن، وكذلك شراء أسهم شركة قناة السويس من الخديوي إسماعيل في عام ١٨٧٨م، كما تمت السيطرة على المناطق المهمة التي يمكن من خلالها تهديد هذا الخط؛ لاسيما جزيرة قبرص الواقعة وسط البحر المتوسط، فقد فرض البريطانيون الحماية عليها وعلى كل المناطق السابق ذكرها حتى يؤكدوا كامل سيادتهم على تلك المناطق<sup>(٣٠)</sup>.

منذ افتتاح قناة السويس أمام الملاحة البحرية؛ شعر البريطانيون بمدى الخطورة على مستقبل تجارتهم في الهند خاصة وأن قناة السويس تحت إشراف الفرنسيين، ومن أجل التخلص

(٢٨) ماكرو مرجع سابق، ص ٨٧.

(٢٩) فاروق عثمان أباطة، مرجع سابق، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(٣٠) شفيقة عراسي، السياسة البريطانية في عدن ١٩٣٧م - ١٩٦٧م، ط ١، إصدار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م، ص ١٢٢.



من سيطرة الفرنسيين واحتكارهم الشركة استخدموا كافة الوسائل؛ حيث احتلوا موانئ بربرة وزيلع الواقعة على الساحل الغربي للبحر الأحمر؛ كما فرضوا سيطرتهم على كل موانئ البحر الأحمر، ومن أجل ضمان التفوق البحري في البحر الأحمر كانت استراتيجية البريطانيين العسكرية تقوم على إقامة القواعد العسكرية في جميع موانئ البحر الأحمر ومنافذها، وبهذه الإجراءات العسكرية تمكن البريطانيين من وقف تغلغل الفرنسيين في البحر الأحمر<sup>(٣١)</sup>.

على الرغم من سيطرة البريطانيين على سواحل البحر الأحمر؛ إلا أنهم نظروا إلى التحرك المصري عبر الساحل الغربي للبحر الأحمر بحذر وخوف شديدين؛ لاسيما مع وجود علاقة قوية بين الفرنسيين والمصريين أسهمت في شق قناة السويس، لهذا فهم البريطانيين أن التحرك المصري قد يكون مدعوم من الفرنسيين، وهذا الأمر قد يؤدي إلى وقوع مصر تحت النفوذ الفرنسي؛ مما يجعل وضع البريطانيين في البحر الأحمر حرجاً للغاية؛ لهذا لم تنتظر الحكومة البريطانية كثيراً حيث أعطت أوامرها إلى أسطولها البحري باحتلال مصر، وبالفعل تمت عملية الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م، فأصبح البريطانيين المتحكمين بالبحر الأحمر بشقية الجنوبي والشمالي عن طريق السيطرة على مضيق باب المندب في الجنوب، أما الشمال بالسيطرة الكاملة على شركة قناة السويس الملاحية بذلك تيسر للإنجليز نقل بضائعهم بكل سهولة ويسر، مع اختصار الجهد والوقت، ونتج عن ذلك زيادة الأرباح البريطانية بشكل كبير حتى أصبحت بريطانيا في ذلك الوقت أقوى دولة اقتصادياً وعسكرياً، وأصبحت مهيمنة على العالم كله؛ بسبب ضخامة الأرباح التي جنتها من الهند، وسيطرة البريطانيين على عدن ذلك الموقع المهم الذي يطل على البحر الأحمر من جهة وعلى ساحل أفريقيا الشرقي والمحيط الهندي من جهة أخرى مكنت البريطانيين من مراقبة كل التحركات الفرنسية في المنطقة، وجعلتهم يقفون لها بالمرصاد، فقد تمكن البريطانيين حصر التواجد الفرنسي على الساحل الأفريقي؛ لا يهدد عدن، أما عدن ذاتها فقد جعلوها نقطة انطلاق باتجاه الداخل أي إلى سلطنة لحج والمناطق الأخرى فقد واصل البريطانيين سياستهم الاستعمارية التوسعية من خلال نمط المعاهدات الجديدة التي تفرض على أمراء تلك القبائل السيادة البريطانية، وفي مايو ١٨٨١م عقد السلطان العبدلي مع البريطانيين معاهدة حماية، تعهد فيها بأنه لا يجري أي علاقة أو اتصال مع أي دولة أخرى إلا بعد مشاورة البريطانيين، وكذلك لا يحق للسلطان عمل أي شيء في عدن سوى تجارة أو بناء مساكن ... الخ إلا بعد الرجوع للإنجليز.

ويظهر أن هذه المعاهدة مع العبدلي كانت أول سند شرعي قانوني للإنجليز في هذه المنطقة بأنهم أصحاب السيادة في عدن كما هو واضح أن البريطانيين استطاعوا تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية الجديدة لأنهم اعتمدوا على مشايخ وأمراء قبليي الحيلة؛ ليس لديهم أي خبرة في هذه المسائل، بالإضافة إلى أنهم كانوا غير مرغوب بهم في قبائلهم، ومن أجل أن يفرضهم البريطانيين حكماً على مناطقهم فإنهم نفذوا كل شروط البريطانيين<sup>(٣٢)</sup>.

بدأ الألمان اهتمامهم بالساحل الصومالي القريب من عدن وبالسيطرة عليه، فاستطاعوا أن يجدوا لهم موقعاً مواجهاً لتواجد البريطانيين في عدن؛ لاسيما إن هذا الموقع يؤمن لهم مواجهة البريطانيين إذا ما حدث بين الجانبين حرباً عسكرية ويذكر أن الألمان الذين تركزت بداية منافستهم الاستعمارية مع البريطانيين في أملاك سلطان زنجبار، وكذلك غرب أفريقيا

(٣١) حسين فوزي النجار، بريطانيا والجنوب العربي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢١.

(٣٢) ماكرو، مرجع سابق، ص ٨١. أحمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ١٩٨٨م، ص ٢١٠.



والمحيط الهندي، لهذا شعر البريطانيون بأن الخطر الألماني أصبح يديق ناقوس الخطر على تواجدهم في عدن والمناطق القريبة منها<sup>(٣٣)</sup>.

أما بالنسبة للطلبان فإنهم وصلوا بسط نفوذهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر خاصة أنه في يناير ١٨٨٥م قاموا باحتلال عصب؛ وبهذا أصبحت مصوع وعصب تحت النفوذ الإيطالي؛ فدخل الطليان مرحلة أكثر خطورة على البريطانيين في عدن، كما زاد نفوذ الفرنسيين حول ميناء أوبوك، بالإضافة إلى الخطر الألماني الذي أصبح مشارك في اللعبة لهذا حان الوقت لتطبيق السياسة الاستعمارية الجديدة وهي الانتقال من مرحلة الصداقة والتعاون إلى مرحلة الحماية العسكرية على مناطق وقبائل الإمارات التسع، حيث تم إصدار التعليمات من حكومة الهند أنه يجب تشكيل لجنة مختصة تقوم بمسح المناطق المحيطة بالعثمانيين خاصة في يافع والضالع وإعداد الخرائط والبيانات حتى يكون عند البريطانيين معلومات دقيقة واضحة يستطيعون من خلالها الجلوس والتفاوض مع العثمانيين بشأن تحديد الحدود.

**ثالثاً: البريطانيون والعثمانيون بين البقاء والزوال (١٨٧٢ - ١٨٨٩م):**

منذ دخول العثمانيين صنعاء اتخذ اليمنيين من مدينة (قفلة عذر) مكاناً لقيادة المقاومة اليمنية ضد العثمانيين دخل معه في هذا الأمر شيخ منطقة أرحب، حيث قام بتحريض الأهالي للجهاد ضدهم، وعندما وصلت الأخبار إلى القائد (أحمد) مختار باشا أرسل فرقة عثمانية معززة ببعض اليمنيين وعلى أطراف أرحب قاموا ببناء المدافع ثم وجهوا نيران مدافعهم نحوها، وحاول رجال المقاومة في أرحب الصمود أمام هذا الهجوم، لكن سلاح المدفعية حسم المعركة لصالح العثمانيين وسقطت المنطقة بأيديهم عام ١٨٧٢م، أما الإمام محسن بن أحمد الشهاري فقد استمر في المقاومة، وتنقل بين حوث وخرم وحاشد لجمع رجال المقاومة، وفي منطقة حاشد تجمع له خلق كثير؛ حيث وضعوا الخطط لمواجهة العثمانيين، واستخدموا أسلوب جديد في الحرب ضدهم؛ وهو حرب العصابات حيث قاموا بمهاجمة المعسكر العثماني القريب من حاشد ليلاً وتسلمت مجموعة صغيرة إلى داخل المعسكر، وحاصر الباقي المعسكر من جميع الجهات فتم الاشتباك مع الجنود العثمانيين بالسلاح الأبيض والخناجر، وهذا الأسلوب الجديد لم يتعود عليه العثمانيين من قبل في حروبهم؛ فكانت خسائرهم كبيرة؛ لأنهم يستخدمون المدافع والبنادق والضرب من مسافات بعيدة، لكن عندما التحم اليمنيون بالجنود العثمانيين أظهر المقاومون شجاعة وصبر بعكس العثمانيين فإنهم قليلي الحيلة في هذا الأسلوب<sup>(٣٤)</sup>.

ونتيجة للخسائر الكبيرة التي تكبدها العثمانيين من حربهم فقد قرر القائد أحمد مختار باشا إرسال حملة عثمانية كبيرة مسلحة بعدة مدافع كبيرة، فتوجهت هذه القوة إلى منطقة حاشد؛ إذ تم توزيع الحملة على جميع مداخل المنطقة ومخارجها؛ لمنع وصول مساعدات لحاشد أو الخروج منها، ثم بدأت المدافع بتوجيه نيرانها إلى داخل حاشد، واستمر هذا الوضع لعدة أيام، انتهى الأمر بخضوع حاشد لحكم العثمانيين؛ بعد أن سقط فيها (٤٠ شهيداً)، وبذلك سيطر العثمانيون على حاشد، ثم سارت القوة العثمانية باتجاه مدينة كوكبان؛ تلك المدينة التي تهدد الوجود العثماني في صنعاء؛ إذ يلجئ إليها رجال المقاومة اليمنية، ويذكر أن هذه المنطقة تحت حكم الأمير (أحمد) بن شرف الدين وهو مستقل عن الحكم العثماني، لهذا قرر العثمانيون إخضاعها والقضاء على مكان تحصن المقاومة فيها، واصلت القوات العثمانية سيرها بقيادة موسى (كاظم وفضلي بيه)، وكان أمير كوكبان قد علم بخبر الحملة قبل وصولها؛ لذلك شحن جميع القلاع والحصون في المدينة بالمقاومين وحصن المدينة من جميع الجهات؛ فعندما وصل

(٣٣) أباطة، مرجع سابق، ص ٥٠٣، ٥٠٤.

(٣٤) عبدالله محمد الحبشي، ص ٣٢٦.



العثمانيون إلى أسفل المدينة وشاهدوا ذلك التحصين المنيع، قرروا نصب معسكرهم هناك، وتوجيه نيران مدافعهم على القلاع والحصون وكذلك فرضوا حصاراً على المدينة من جميع الجهات، وظل المقاومون اليمنيون يدافعون عن كوكبان لمدة سبعة أشهر، واستخدموا كافة أساليب المقاومة كالرصاص والرمي بالأحجار ... الخ، حيث تكبد العثمانيون الكثير من القتلى والجرحى، وعندما شعر الأمير أحمد شرف الدين بوجود خيانة تسعى إلى فتح الأبواب وتسليمه سليماً، قام على الفور بمراسلة قائد العثمانيين، وجرى أمر التسليم على شروط؛ حافظ فيها على رجال المقاومة من القتل، كما حفظ له العثمانيون كرامته وعائلته، وعاش في صنعاء حتى وفاته<sup>(٣٥)</sup>.

أما المقاومة جنوب صنعاء في ذمار فقد قام رجال المقاومة اليمنية في جبل ضوران بإعلان ثورتهم ضد العثمانيين، واستعدوا لهذا الأمر من خلال تحصين الجبل ببناء القلاع والحصون؛ لمواجهة أي هجوم قد يقوم به العثمانيون، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الإجراءات الأخرى، مثل الامتناع عن دفع الضرائب المقررة عليهم من قبل العثمانيين، وكذلك مهاجمة جميع الحاميات العثمانية الموجودة في منطقتهم، ومهاجمة مكان حاكم المنطقة العثماني، فأصبح لهم شأن كبير في اليمن، وانتشر خبر ثورتهم في اليمن، لهذا خاف العثمانيون من أن تنتشر ثورتهم إلى جميع الأقاليم، فقرر قائد العثمانيين في اليمن تجريد حملة عثمانية من صنعاء للقضاء على ثورتهم، فوصلت القوة العثمانية إلى منطقة البيستان أسفل جبل ضوران، ثم قاموا بصعود الجبل من جميع الجهات ومهدوا لهذا الصعود بغطاء مدفعي كثيف على قمة الجبل وحصونه واستمرت المعركة عدة أيام كان المقاومون فيها صامدين، يقبلون على الموت بكل شجاعة وصبر، ونتيجة لنفاذ الذخيرة وكثافة نيران المدفعية الموجهة عليهم انسحب المقاومون من الجبل، حينها استطاع العثمانيون الصعود إلى أعلى الجبل والسيطرة عليه<sup>(٣٦)</sup>.

بالرجوع إلى منطقة حاشد التي لبت نداء المقاومة مع الإمام (محسن بن أحمد الشهاري)؛ فقد قرر رجال المقاومة اليمنية الانتقام لشهداءهم الذين سقطوا بسبب الحملة العثمانية الكبيرة التي دمرت المنازل، ونكلت بالسكان؛ إذ تجمع بالقرب من جمع عظيم من المقاومين كانت خطتهم مهاجمة المعسكر العثماني ليلاً وشن حرب عصابات؛ فقد وجدوا فيها الوسيلة المثلى التي ستمكنهم من هزيمة العثمانيين، وبالفعل نجحت الخطة وتمكن رجال المقاومة من الدخول إلى المعسكر العثماني واشتبكوا مع الجلود العثمانيين الموجودين داخل المعسكر، وكان الانتصار لرجال المقاومة اليمنية، فقد تمكنوا من قتل الكثيرين من جنودهم والاستيلاء على جميع المعدات والذخيرة داخل المعسكر، كما غنموا مدفع عثمانى كبير، يذكر أنه في هذه المعركة التي جرت عام ١٨٧٣م في عهد الوالي (أحمد أيوب باشا) كانت الخسائر العثمانية كبيرة جداً بشرية ومادية، أما الجنود العثمانيين الذين نجوا من المعركة فقد هربوا إلى منطقة الغولة بالقرب من ريده في منطقة حاشد، وفيما يتعلق بشأن المدفع العثماني فقد سلمه رجال المقاومة للإمام (محسن بن أحمد الشهاري)<sup>(٣٧)</sup>.

نتيجة لعدم قدرة الوالي أحمد أيوب باشا القضاء على حركة المقاومة بقيادة الإمام محسن بن أحمد الشهاري تم استبداله بوالي آخر عام ١٨٧٥م، ويدعى (مصطفى عاصم باشا)، ومع قدوم الوالي الجديد إلى صنعاء أعلنت قبائل أرحب، وحاشد وكذلك ذو محمد وغيرهم الانضمام إلى المقاومة اليمنية ضد التدخل العثماني التي كان يقودها آنذاك - الإمام محسن بن أحمد

(٣٥) عبدالله محمد الحبشي، مرجع سابق، ص ٣٣٦.

(٣٦) الكبسي مصدر سابق، ص ٣٢١.

(٣٧) عبدالله محمد الحبشي، مرجع سابق، ص ٣٣٦.



الشهاري؛ فقام الوالي الجديد منذ أول يوم له في ولاية اليمن، بإرسال حملات عثمانية لملاحقة قائد المقاومة الإمام (محسن بن أحمد الشهاري) بغرض قتله، لأنه كان يرى أن موته سيشكل نهاية للمقاومة، وكانت البداية في إرسال حملة عثمانية كبيرة لمهاجمة قبيلة أرحب وإخضاعها للتدخل العثماني، فوصلت الحملة إلى قرية تسمى بيت مران، وجرت بين الطرفين معركة ضاربة سقط فيها الكثير من القتلى والجرحى من صفوف رجال المقاومة اليمنية، وتمكن العثمانيون من دخول مدينة أرحب ونهبوا كل ما وجدوا فيها من مال وغذاء وسلاح الخ، وجزوا رؤوس القتلى وأخذوها مع الأسرى من قبيلة أرحب إلى الوالي الجديد، في صنعاء ويبدو أن قيامهم بهذا العمل لاسيما قطع الرؤوس وإحضارها للوالي العثماني؛ كان بهدف كسر روح المقاومة اليمنية، وإضعاف همم المقاتلين، إذ أن الذي يقف ضد الدولة العثمانية سيكون مصيره القتل<sup>(٣٨)</sup>.

ولكن المقاومة لم تتوقف طيلة زمن تولي الوالي (مصطفى عاصم باشا)؛ حيث أعلن أهالي جبل عيال يزيد من بلاد الظاهر الثورة ضد التدخل العثماني في صنعاء؛ فقام الوالي بإرسال حملة عسكرية إلى منطقتهم لقمع تلك الثورة، وكان أول عمل قامت به هو مهاجمة قرية بيت الحارثي، وتمكنوا من دخولها ونهبوها عن آخرها بعد ذلك سارت الحملة إلى مدينة خمر من بلاد حاشد؛ وهي إحدى المناطق المساندة للإمام (محسن بن أحمد الشهاري)؛ إلا أن رجال المقاومة اليمنية فيها كانوا لهم بالمرصاد؛ من خلال عمل الكمائن على طول الطريق المؤدي إلى خمر؛ فقتلوا الكثير من الجنود العثمانيين، وفر الآخريين منهم؛ ناجين بأنفسهم إلى صنعاء تاركين كل الأسلحة والذخيرة، فاستولى عليها رجال المقاومة<sup>(٣٩)</sup>.

لهذا قام الوالي (مصطفى عاصم باشا) بقيادة حملة عثمانية أخرى في العام ذاته ١٨٧٥م، والسير بها نحو مدينة حاشد لقمع الثورة فيها، وعند وصوله إلى مدينة خمر أعلن العفو العام على جميع المقاومين، محاولاً التقرب من أبناء المنطقة وكسب ود أهالي رجال المقاومة من حاشد وبلاد وادعه، وسفیان المناصرين للإمام محسن بن أحمد الشهاري، إلا أن هذا الأسلوب لم يوقف المقاومة اليمنية؛ إذ قام رجال المقاومة في حوث بالهجوم على معسكر الوالي ليلاً، واحرقوا بعض الخيام وجرحوا مجموعة من الجنود العثمانيين لهذا قرر الوالي مهاجمة حوش معقل الإمام (محسن بن أحمد الشهاري)؛ إلا أن الإمام غادره باتجاه جبل الأهنوم قبل وصول العثمانيين، ونتيجة لابتعاده عن العاصمة صنعاء قرر الوالي العودة سريعاً خوفاً من الكمائن التي تنصبها المقاومة<sup>(٤٠)</sup>، لكنه ضم في نفسه وقرر المحاولة من جديد؛ حيث قاد حملة عثمانية ضخمة؛ مجهزة بجميع الأسلحة من أجل استئصال شوكة المقاومة اليمنية والإمامة معاً غير أنه لم يفلح في ذلك، ويرجع السبب إلى أن الإمام (محسن بن أحمد الشهاري) انسحب من مدينة حوث ولجأ إلى جبال برط الشاهقة، وتحصن فيها هو وأصحابه؛ فلم يستطع العثمانيين الوصول إليهم، يضاف إلى ذلك وقوع أمر خطير في صنعاء أربك الحملة العثمانية في صعدة؛ عندما قام رجال المقاومة من قبيلة نهم، وبني حشيش بقيادة (محمد مثني الأعوج النيمي) بمهاجمة صنعاء وتخليصها من العثمانيين؛ اعتقاداً منهم أنها أصبحت خالية من الجند؛ لهذا اعتبروها أفضل فرصة سانحة للهجوم؛ إلا أن الوالي العثماني ترك حامية عثمانية بقيادة حافظ

(٣٨) محمد الكبسي، اللطائف السنوية في أخبار الممالك اليمنية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٢٣.

(٣٩) محمد بن محمد زبارة، أئمة اليمن في القرن الرابع عشر للهجرة، ووفيات أعلام أعوامهم إلى سنة ١٣٧٥هـ، ص ١٠.

(٤٠) محمد الكبسي، المرجع السابق، ص ٣٢٣.



باشا لحماية صنعاء من أي طائل قد يحدث، وبالفعل تمكنت هذه الحامية من رصد تحرك رجال المقاومة اليمنية للهجوم على صنعاء وعندما اقتربوا منها قام رجال المدفعية العثمانية بقصف القوات القادمة من نهم وبني حشيش بقذائف موجهة؛ نزلت بكثافة عليهم، وأدت إلى سقوط الكثير من القتلى والجرحى؛ مما أفشل الهجوم وتراجع الباقون حاملين جراحهم إلى مناطقهم<sup>(٤١)</sup>. في علم ١٨٧٨م كلف الوالي مصطفى عاصم باشا كلاً من (إسماعيل باشا) (والشيخ علي البليلي) الجلوس مع رجال المقاومة اليمنية في حاشد والتفاوض معهم، لاسترجاع المدفع العثماني الذي استولوا عليه من العثمانيين أيام الوالي (أحمد أيوب باشا)، وكان مندوب حاشد في هذا الأمر (علي بن هاوي أبو فارغ) حيث تم إغرائه بالمال؛ فقام بتسليم المدفع العثماني للوالي العثماني، وفي هذه الأثناء توفي قائد المقاومة اليمنية الإمام المتوكل (محسن بن أحمد الشهاري) الذي أعلن الحرب على العثمانيين منذ دخولهم صنعاء في عام ١٨٧٢م حتى يوم وفاته في حصن الظفير عام ١٨٧٨م، ولكي لا تصبح الأمور في اضطراب وفوضى قام رجال المقاومة اليمنية والأعيان بتكليف شرف الدين بن محمد القيام بأمر قيادة المقاومة والإمامة؛ فتمت مبايعته من قبل جميع الموجودين في حصن الظفير وفي ذات العام ١٨٧٨م أعلن دعوته وتلقب (بالهادي) واتخذ من مدينة هجرة مران عاصمة لدعوته، وقيادة المقاومة اليمنية ضد الوجود العثماني<sup>(٤٢)</sup>.

بعد استقرار الأمور في حصن الظفير بدأ الإمام شرف الدين بن محمد تنظيم عملية المقاومة اليمنية ضد الوجود العثماني، حيث تم تشكيل جيش يمني لمواجهة العثمانيين الذين أتوا من صنعاء لضرب المقاومة اليمنية؛ لاسيما بعد أن علموا بوفاة الإمام محسن بن أحمد (الشهاري قائد المقاومة؛ فوجدوها فرصة عظيمة للتخلص من أمر المقاومة في جبل الأهنوم، إلا أن اليمنيين المقاومين فوتوا عليهم الفرصة عندما نظموا أنفسهم، وشكلوا جيشاً بقيادة يحيى بن قاسم الأهنومي، الذي انطلق سريعاً من هجرة مران لمواجهة العثمانيين في منطقة عمران، وجرى بينهم معركة عنيفة، أنهزم فيها اليمنيون وسقط منهم قتلى وجرحى كثير، فأانسحب قائد اليمنيين مع من تبقى من قواته سريعاً إلى حوث، حيث يتواجد الإمام (شرف الدين بن محمد) وغادروا سريعاً باتجاه جبل الأهنوم، أما العثمانيون فقد واصلوا زحفهم نحو حوث ودخلوها وخربوها، ثم توجهوا شمال صعدة وقصفوا قرية الخمري بالمدافع، بعدها حاول الجنود العثمانيين الصعود إلى رأس جبل الأهنوم، إلا أن رجال المقاومة اليمنية المتحصنين في الجبل تصدوا لهم وكبدوهم خسائر كبيرة في الأرواح بلغت عشرين قتيلاً، والكثير من الجرحى، لهذا انسحب العثمانيون من صعدة عائدين إلى صنعاء يجررون أذيال الهزيمة<sup>(٤٣)</sup>.

ولم تكن المقاومة اليمنية ضد التدخل العثماني محصورة في مناطق صعدة وحجة وعمران؛ بل امتدت إلى مناطق كثيرة في اليمن، ففي عام ١٨٨٠م قام قائد الحامية العثمانية في الحديدة القائد (محمد بيك باشا) بمهاجمة قبيلة مروان، وهي من القبائل التهامية المقاومة للوجود العثماني في المناطق الساحلية التي كانت تهاجم معسكر العثمانيين في تهامة بين الحين والآخر، لهذا اتخذ القائد (محمد بيك) قراراً بمهاجمة هذه القبيلة التي كانت منطقة تغطيتها الأشجار وتكثر فيها الشعاب المنحدرة من الجبال الغربية لليمن، على رأس قوة تتكون من ٣٠٠ جندي من العرب والعمانيين، ولم يحملوا معهم الأسلحة الثقيلة كالمدافع والمعدات الأخرى، وإنما أخذوا البنادق فقط وكانهم في رحلة صيد ليس إلا وفور علم أهل المنطقة بخروج القوة العثمانية

(٤١) زيارة، المصدر السابق، ص ١٦.

(٤٢) زيارة، المصدر السابق، ص ١٦.

(٤٣) زيارة المصدر نفسه، ص ١٧.



لتأديبهم، قاموا بمغادرة المنطقة والتخفي خلف الأشجار والشعاب حيث عملوا الكماثن، ووزعوا رجال المقاومة اليمنية، بحيث يطبقوا على المعتدين العثمانيين من كل حذب وصوب وبالفعل تمت محاصرة الفرقة العثمانية وأبيد معظم جنودها، ولم يبق منهم إلا قلة قليلة وقعت في الأسر، أما مصير قائد الحملة فقد استطاع الفرار من المعركة على ظهر فرس والعودة إلى المعسكر ونتيجة للهزيمة النكراء تم استدعاء القائد (محمد بيك) للحضور إلى صنعاء لمقابلة الوالي العثماني آنذاك، لشرح أسباب هزيمة الفرقة، وما أن وصل إلى صنعاء أمر الوالي مصطفى عاصم بسجنه لأنه أساء التصرف في قيادة الفرقة وكان سبباً في هلاكها، وظل في السجن حتى مات<sup>(٤٤)</sup>.

أما المقاومة اليمنية في المناطق الجبلية، ففي عام ١٨٨١م قام قائد المقاومة اليمنية الجديد (الإمام شرف الدين بن محمد) بتطهير حصن الظفير في حجة من الحامية العثمانية المتمركزة فيه وتم الاستيلاء عليه، وفر أفراد الحامية إلى صنعاء، إلا أن الوالي العثماني في صنعاء شعر أن الاستيلاء على حصن الظفير يعتبر نصراً كبيراً للمقاومة، لأن هذا الحصن يشرف على الطريق المؤدي إلى صعدة والعكس، ولأن أي حملة عثمانية موجهة إلى صعدة لا تستطيع التقدم إليها لأنها تصبح مكشوفة أمام نيران المقاومة، لهذا تم تجريد حملة عثمانية كبيرة لاسترداد الحصن من المقاومة وعندما وصلت إلى أسفل الحصن جرى بين الطرفين معركة ضارية استمرت عدة أيام؛ فشل فيها العثمانيون من اقتحام حصن الظفير بسبب شدة المقاومة اليمنية وتكبد العثمانيون خسائر كبيرة في الأرواح، لأن تقدم الجنود العثمانيين نحو الحصن كان بطريقة مكشوفة أمام نيران رجال المقاومة، فكان يتم قتلهم بسهولة، لهذا أوقف العثمانيون الهجوم واستخدموا طريقة الحصار على الحصن من جميع النواحي لمدة سبعة أشهر، وفي الأخير لجأ العثمانيون لأسلوب الإغراء بالمال، واستطاعوا شراء ذمم بعض الرجال من الذين يحرسون الأبواب، فتم فتح أبواب الحصن، فدخله العثمانيون وقاموا بنهب كل ما فيه وتدميره بالكامل<sup>(٤٥)</sup>.

إلا أن المقاومة لم تتوقف، ففي عام ١٨٨٣م أرسل الإمام شرف الدين ابنه محمد بن شرف الدين على رأس جماعة من المقاومين إلى منطقة خولان العالية لتخليص حصن الطيبين من الحامية العثمانية المتمركزة فيه، ولتحرير أبناء خولان من تعسف جنود الحامية وظلمهم، الذين كانوا يفرضون الضرائب والإتاوات على السكان، ويذكر أن خولان تقع جنوب شرق صنعاء وعندما وصلت المقاومة اليمنية إلى منطقة خولان فرضت الحصار على جنود الحامية المتمركزين هناك عدة أيام، لكي يجبروهم على الاستسلام، إلا أن الوالي العثماني أرسل نجدة عثمانية الخولان أفراد الحامية المحاصرين وفك الحصار عنهم، وبالفعل وصلت النجدة العثمانية قبل سقوط الحصن بأيدي المقاومة، لهذا أمر قائد المقاومة اليمنية (محمد بن شرف الدين بالانسحاب من خولان والعودة إلى هجرة مران أما خولان فقد تم اقتياد أسراهم إلى العاصمة صنعاء، وفي هذه الأثناء أي في سنة ١٨٨٤م تم تعيين والي عثماني جديد يدعى (أحمد فيضي باشا) المشهور بالقسوة واستخدام العنف، ومنذ توليه حكم العثمانيين في اليمن أمر رجاله بجمع الضرائب والزكاة بالقوة من اليمنيين ولم يستثن أحداً، مما أدى إلى إعلان الكثير من القبائل اليمنية المقاومة ضد العثمانيين منها قبيلة مراد إحدى قبائل الشرق بدمار، إذ أعلنت نضالها على العثمانيين وقامت بمهاجمة معسكرهم الموجود بدمار، وجرت بينهم معركة عنيفة سقط فيها الكثير من القتلى والجرحى، ولكن الغلبة كانت للعثمانيين نتيجة لقلة خبرة أفراد المقاومة، وكذلك

(٤٤) الوشلي، مصدر سابق، ص ٣٥، ٣٦.

(٤٥) زيارة، المصدر السابق، ص ١٨، ١٩.



ضعف تسليحهم فكان التفوق للعثمانيين، وتم أخذ أسرى من أفراد قبيلة مراد إلى صنعاء ليكونوا رهائن عند الوالي، حتى يضمن خضوع قبيلة مراد للتدخل العثماني<sup>(٤٦)</sup>.  
إلا أن قبيلة الحدا وقفت بجانب أهل مراد في التصدي لقمع وظلم العثمانيين، ففي عام ١٨٨٤م قام أفراد المقاومة اليمنية في الحدا بشن هجوم على جميع العثمانية التي وضعها العثمانيين لتحصيل الضرائب والإتاوات من اليمنيين، في الطريق الذي يربط صنعاء بدمار، وتمكن أفراد المقاومة من تدميرها، وأخذ الأموال والأسلحة والذخيرة والحبوب التي كانت بحوزة الجنود العثمانيين، فقام الوالي (أحمد فيضي باشا بتجريد حملة عثمانية بقيادة (محمد علي بيك) لتأديب قبيلة الحدا واسترجاع الأموال منها، وما أن وصلت الحملة حتى عسكرت في أطراف الحداء، ثم قامت المدفعية العثمانية بقصف المدينة بالنيران؛ إلا أن هذا القصف لم يحقق نصراً؛ بل أن أفراد المقاومة كانوا يتسللون ليلاً ويهاجمون المعسكر العثماني فسقط الكثير من القتلى بين صفوف العثمانيين؛ الأمر الذي دفع العثمانيين في الأخير إلى عقد الصلح مع قبيلة الحداء، وعادت الحملة العثمانية إلى صنعاء، وفي العام ذاته تم استبدال الوالي (أحمد فيضي باشا) بوالي جديد اسمه (عزيز باشا)، وما أن وصل إلى صنعاء حتى قرر مهاجمة هجرة مران عاصمة الإمام (شرف الدين بن محمد) قائد المقاومة، فتم إرسال حملة عثمانية للقضاء على المقاومة اليمنية وقتل قائدها، إلا أنها لم تنجح في تحقيق هدفها ذلك لأنها وصلت إلى جبل عيال يزيد واصطدمت مع أفراد المقاومة اليمنية، فكانت معركة عنيفة انتهت بهزيمة العثمانيين، فرجعوا إلى صنعاء يجرون أذيال الهزيمة، وتبين للوالي الجديد أن إرسال الحملات العثمانية للقتال ليس هو الحل، فقرر تبني أسلوب جديد، وهو تهدئه الوضع والقيام ببعض الإجراءات، ومنها منع الرشوة ومنع جمع الطعام وإعفاء الفقراء والمساكين من الضرائب، وكذا تعيين يمينيين في بعض الوظائف الإدارية، ويبدو أن هذه الإجراءات لقيت استحسان اليمنيين، إذ توجه وعمل أفراد المقاومة نحو تهدئه الوضع إلى حين<sup>(٤٧)</sup>.

المقاومة المسلحة ضد التدخل العثماني في الشمال يقابله النضال المسلح ضد الاحتلال البريطاني في الجنوب، حيث قام عبد الله محسن العبدلي أحد المناضلين من أبناء السلطنة العبدلية ذاتها الراضين للاستعمار البريطاني بإعلان مقاومته على البريطانيين وكذلك على أسرته العبدلية المتعاونة معهم، فأتخذ من منطقة الصبيحة مكاناً لإعلان مقاومته على الوجود البريطاني وأعوانه، ويذكر أن الصبيحة إحدى قبائل اليمن المشهود لها بالشجاعة ورباطة الجأش، حيث أتفق المنصوري والمخدومي من أعيان الصبيحة على تحريض أبناء القبيلة على المقاومة ضد الاحتلال البريطاني وأعوانه من أمراء وسلاطين الجنوب، وبدأوا نضالهم بقطع طرق القوافل التي تحمل الغذاء والخضروات والبن إلى معقل البريطانيين في عدن، فتأثر البريطانيون من هذا العمل أشد تأثير، وذلك لاعتمادهم في توفير متطلباتهم الزراعية على مناطق لحج وغيرها، فلم يجد البريطانيون بداً من التعاون مع سلطنة لحج من أجل شن هجوم على مناطق الصبيحة، وذلك لإخضاعها لسلطتهم، وكذلك فتح طريق القوافل المتجه نحو عدن، فأتفق الطرفان على ضرورة مهاجمة الصبيحة من جهتين، جهة البحر ويقوم به البريطانيون، وجهة البر وينفذه العبادل، في لحج يهجمون وبالفعل نفذت الخطة وتمت مهاجمة الصبيحة من الجبهتين في أبريل ١٨٧٨م، وتحققت لهما السيطرة عليها مؤقتاً وتم فتح طريق القوافل، إلا أن المقاومة اليمنية في هذه القبيلة ظلت مستمرة طيلة تواجد البريطانيين في اليمن<sup>(٤٨)</sup>.

(٤٦) زيارة المصدر السابق، ص ١٩، ٣٨.

(٤٧) الواسعي، مصدر سابق، ص ١٢٢، زيارة مصدر سابق، ص ٥٦؛ العقيلي: مرجع سابق، ص ٥٣٣.

(٤٨) موسى مصدر سابق، ص ١١، ١٢.





ولكي يضمن البريطانيون والسلطان العبدلي إسكات المقاومة اليمنية في الصبيحة عملوا على ضم هذه المنطقة إلى سيطرة السلطنة العبدلية في لحج، كما عملوا نقاط عسكرية على طول الطريق بين لحج والصبيحة المراقبة تحركات أفراد المقاومة اليمنية من قبيلة الصبيحة، وكان الغرض من ذلك منعهم من تسلل إلى لحج وعدن إلا أن رجال المقاومة في الصبيحة لم يسكتوا على هذه الإجراءات، إذ شنوا عدة هجمات على النقاط العسكرية المرابطة على ذلك الطريق، ونتج عن تلك الهجمات سقوط الكثير من الجنود المرابطين في تلك النقاط بين قتيل وجريح، مما دفع السلطان العبدلي إلى إرسال مزيداً من الجنود مع جميع تجهيزاتهم العسكرية لغرض تعزيزها ولم يكن رجال الصبيحة الوحيدين المقاومين للاحتلال البريطاني، وكذا الإمارات والمشايخ المتعاونة معه، ففي عام ١٨٨٤م قامت قبيلة قطيب بمقاومتها على البريطانيون وأمير الضالع، وبدأته بمهاجمة طريق القوافل في منطقة الخريبة، ومنعت القوافل التجارية التي تحمل الحاجات الأساسية من حبوب وخضروات وبن .. الخ للإنجليز من المرور إلى عدن، ونتيجة لهذه المقاومة قام أمير الضالع بطلب المساعدة من المقيم السياسي البريطاني في عدن، الذي بدوره قام بإرسال حملة مكونة من ٥٠ فارساً من البريطانيين، وكذا العديد من الجنود اليمنيين، لتأديب قبيلة القطيبي التي منعت القوافل المارة عبر أراضيها من الذهاب إلى عدن وكذلك خروجهم عن سلطة أمير الضالع، وما أن وصلت القوة إلى قرب قبيلة القطيبي أنضم أمير الضالع إليها، وجرت بين الطرفين صدامات مسلحة؛ انتهت بتفوق القوة البريطانية وأعاونها بسبب عامل خبرتهم القتالية، وكذلك كثرة أسلحتهم، إلا أن المقاومة لم تتوقف، إذ يذكر أنه في عام ١٨٨٥م واصلت المقاومة في الصبيحة نضالهما المسلح ضد النقاط العسكرية، حيث قام رجال المقاومة في قبيلة الأصابع بشن هجوم على جميع نقاط المراقبة في كل من دار الرجاء ودار العنبرتين ودار سبعة، فتم تدمير إحدى النقاط، وقتل جميع الجنود المرابطين فيها، بينما تم محاصرة بقية النقاط الأخرى، ونتيجة لهذا الهجوم العنيف الذي قام به رجال المقاومة اليمنية طلب السلطان العبدلي مساعدة عسكرية عاجلة من البريطانيين؛ لإنقاذ أفراد حامياته المحاصرة، وتم إرسال فرقة عسكرية من قوات عدن مع جميع معداتها الحربية، وفي الطريق إلى الصبيحة التحقت بها قوات (العبادلة) بقيادة (حسن إسماعيل)، وتمكنت هذه القوة المرسلة من عدن ولحج من فك الحصار عن الجنود العبادلة المحاصرين في أراضي الصبيحة، ونتيجة لشدة المقاومة اليمنية في الصبيحة، التي كبدت البريطانيين والعبادل خسائر مادية وبشرية كبيرة قرر السلطان العبدلي سحب كافة جنوده المتمركزين هناك ورفع النقاط العسكرية الموجودة في الصبيحة وبهذا أصبحت الصبيحة مستقلة عن السلطان العبدلي، والبريطانيين ولولا المقاومة المتواصلة التي قامت بها قبائل الصبيحة لما تحقق ذلك الأمر<sup>(٤٩)</sup>.

أما المقاومة اليمنية في المناطق الشرقية في حضرموت، فقد كانت بدايتها عندما تحركت سفينة إنجليزية من عدن في سبتمبر ١٨٨١م تسمى (دراجون) بقيادة الضابط هولتون لمراقبة الوضع القائم في ساحل حضرموت، وكذلك مساعدة حليفهم السلطان القعيطي ضد النقيب المقاوم صلاح الكسادي الذي رفض إقامة علاقة مع البريطانيين لأنه أحس بنواياهم الاستعمارية في المنطقة.

ما أن وصلت السفينة إلى ساحل حضر موت حتى قامت بالتجول قبالة ميناء بروم التابع لإمارة الكسادي، وكان هذا العمل الاستفزازي بغرض جس نبض المقاومة اليمنية في الميناء، وبالفعل تمكن رجال المقاومة من التصدي للسفينة، عندما قاموا بإطلاق نيران المدفعية عليها

(٤٩) خالد طوحل، العوالق، مرجع سابق، ص ١٤٧.



وجعلوها تغادر سواحل الميناء بأقصى سرعة قبل أن يتم تدميرها بالكامل، لاسيما وأنها قد أصيبت بأضرار كبيرة جراء القصف المدفعي، بالإضافة إلى إصابة بعض من الجنود البريطانيين الذين كانوا على السفينة، أما قائد السفينة ذاته فقد نجا من الهجوم لأنه لم يكن موجودًا عليها وإنما كان على أحد القوارب التابعة لها<sup>(٥٠)</sup>.

ونتيجة للهجوم الذي قام به رجال المقاومة الكسادية تواصل (هولتون) مع البريطانيين في عدن موصيًا بأنه يجب القضاء على الإمارة الكسادية سريعاً قبل أن تنضم إليها قبائل حضرموت المقاومة للإنجليز، وبالفعل ما بين نهاية شهر سبتمبر وبداية نوفمبر من العام ذاته تدفقت السفن الحربية والزوارق إلى سواحل حضرموت، فإلى جانب السفينة (دراجون) أرسل البريطانيين السفينة (العربي) وكذلك (راجمار) ومجموعة من الزوارق الحربية وتم الاجتماع مع السلطان (عوض بن صالح القعيطي) في نوفمبر ١٨٨١م من أجل قيادة المعركة ضد الكسادي والتنسيق والتخطيط لشن هجوم من جانبي البحر يقوم به البريطانيين، والبر تقوم به قوة السلطان القعيطي تحت قيادة ضابط إنجليزي، وفي وسط نوفمبر ١٨٨١م بدأ الهجوم حيث قامت السفن الحربية والزوارق بتوجيه نيران مدافعها من البحر باتجاه الحصون والقلاع الموجودة في ميناء بروم والمكلا وكذلك تقدمت القوة القعيطية مهاجمة إمارة الكسادي من ناحية البر بالتزامن مع الهجوم البحري، فدارت بين الجانبين معركة ضارية سقط فيها الكثير من الشهداء من صفوف المقاومة اليمنية في المكلا وبروم، ولم تتوقف هذه المعركة إلا بعد أن سقط رجال المقاومة اليمنية شهداء حتى آخرهم، ولم يبق إلا النساء والأطفال، لهذا طلب القائد صلاح الكسادي وقف المعركة رحمة بالأطفال والنساء، وبذلك سيطر البريطانيون على موانئ حضرموت كلها.

وهذا يؤكد أن المقاومة اليمنية للاحتلال البريطانيون في الجنوب والتدخل العثماني في الشمال كانت منتشرة في كل نواحي اليمن الواحد.

عودة العثمانيين إلى اليمن عام ١٨٧٢م وسيطرتهم على الجزء غير الخاضع للإنجليز في شمال اليمن بأن النواحي التسع ترتبط مع البريطانيين في علاقات صداقة وتعاون، فإن المقيم في عدن يصرح بأنه لن يسمح بأي تدخل كان من أي طرف على هذه النواحي وبوجود العثمانيين في الشمال والبريطانيين في الجنوب، ويعني هذا إعلان التجزئة بين أجزاء الوطن الواحد، ونتيجة لذلك فإن المقاومة اليمنية الموحدة في أجزاء اليمن قد أصيبت بضربة موجعة في نضالها الموحد ضد العثمانيين والبريطانيين، ويرجع إلى تسخير الإمامة في الشمال النضال المسلح ضد العثمانيين لصالحها في توسيع مناطق نفوذها وكذلك الأمراء والسلطين في الجنوب لمصالحهم لتحقيق أهدافهم من أجل حكم مناطقهم<sup>(٥١)</sup>.

أن ذلك لا يقل من عمل ونضال المقاومة اليمنية في كل أجزاء اليمن الواحد ضد التدخل العثماني في الشمال والاحتلال البريطانيون في الجنوب حيث لا يعقل أن جميع أئمة اليمن كان هدفهم مصالحهم الشخصية فهناك أئمة وطنيون غيورين على اليمن أمثال: محسن بن أحمد الشهاري، وشرف الدين بن محمد وغيرهم، وكذلك أمراء ومشايخ اليمن كان الكثير منهم يقدمون حب اليمن على مصالحهم الشخصية، لهذا لا يمكننا أن نلغي جميع نضالاتهم ضد التدخل العثماني في الشمال والاحتلال البريطانيون في الجنوب.

(٥٠) بامطرف، مصدر سابق، ص ١٣٣.

(٥١) أحمد محمد بن بريك، محمد سعيد داوود، مجلة سبأ، عدد (١٣)، إصدار أقسام التاريخ، جامعة عدن، ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ٢٥٩.



### الخاتمة

هذا البحث تناولت فيه الصراع العثماني البريطاني في اليمن (١٨٣٩-١٨٨٦م) وبعد رحلة البحث استطعت أن أصل إلى النتائج التاريخية الجديدة في الصراع العثماني البريطاني على اليمن ١٨٣٩-١٨٧٢م وكان أهمها ما يلي:

**أولاً:** أهمية اليمن الاستراتيجية والسياسية كانت كبيرة على الصعيد الإقليمي والدولي بحكم موقعها المتميز الذي جعل الدول الاستعمارية تتسابق عليه منذ مطلع القرن الخامس عشر حتى تمكن الإنجليز من السيطرة على عدن عام ١٨٣٩م بالاحتلال العسكري.

**ثانياً:** ضعف الدولة العثمانية ساعد حاكم مصر محمد علي باشا على التحرر من العثمانيين، بل مكنه ذلك من مد نفوذه إلى السودان، بالإضافة إلى السعي للسيطرة على الحجاز وموانئ اليمن، حتى أصبح له السيادة على موانئ البحر الأحمر الشرقية والغربية في محاولة لوقف أطماع الدول الأوروبية الاستعمارية.

**ثالثاً:** تمكنت الدول الأوروبية من إحباط طموحات محمد علي باشا وإفشال مشروعة التوسعي، وذلك عندما أجبر علي سحب جيوشه من تلك المناطق بموجب القرارات التي اتخذتها تلك الدول في اجتماع لندن عام ١٨٤٠م، فلم يُعد له سوى حكم مصر فقط، وتحت السيادة العثمانية ومن ثم أصبح الطريق ممهداً لتلك الدول لبسط سيطرتها على موانئ البحر الأحمر وموانئ اليمن الجنوبية، ناهيك عن بقية موانئ شرق أفريقيا.

**رابعاً:** عودة العثمانيون مجدداً إلى اليمن عام ١٨٧٢م بعد زيادة الحركة التجارية في البحر الأحمر بسبب شق قناة السويس وافتتاحها عام ١٨٦٩م.

**خامساً:** على الرغم من شعور العثمانيين بأنهم أصحاب الحق الشرعي في حكم اليمن باعتبارها ولاية عثمانية، إلا أنهم كانوا يدركون عدم مقدرتهم خوض الحرب ضد الإنجليز.



قائمة المصادر والمراجع

- ١- أحمد فخري اليمن ماضيها وحاضرها المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء، ١٩٨٨م.
- ٢- أحمد فضل العبدلي هدية الزمان في أخبار ملوك لحج وعدن، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٣- أحمد بن أحمد النعمي، حوليات النعمي التهامية ١٨٠٠-١٨٤٢م، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.
- ٤- أريك ماكرو، اليمن والغرب، ترجمة د. حسين عبدالله العمري، ط٢، دار الفكر دمشق، ١٩٨٧م.
- ٥- إسماعيل بن محمد الوشلي، ذيل نشر الثناء الحسن، تحقيق محمد بن محمد الشعبي، ط١، مطابع اليمن العصرية، صنعاء، ١٩٨٢م.
- ٦- أف أل. بلافير، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، وعلي محمد باحشوان، ط١، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
- ٧- أمين الريحاني، ملوك العرب، ط٨، دار الجيل، بيروت؛ ١٩٨٥.
- ٨- جاكين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قري قلعجي والشيخ أحمد الجاسر، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.
- ٩- حسين عبد الله العمري، المنار واليمن ١٨٩٨-١٩٣٥م، ط١، دراسة نصوص، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٦م.
- ١٠- حسين فوزي النجار، بريطانيا والجنوب العربي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ١١- حسين مؤنس الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي القاهرة، ١٩٦٠م.
- ١٢- خالد عبدالله طوحل، العوالم وتكوينهم السياسي الحديث، دار جامعة عدن، ط١، ٢٠٠٦م.
- ١٣- صالح علي باصرة، حدود اليمن عبر التاريخ، مجلة سبأ، إصدار قسم التاريخ كلية الآداب، العدد (٩)، جامعة عدن، ديسمبر ٢٠٠٠م.
- ١٤- سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩ - ١٩٦٧م، دار كاظمة للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٧٦م.
- ١٥- شفيقة عراسي، السياسة البريطانية في عدن ١٩٣٧م - ١٩٦٧م، ط١، إصدار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.
- ١٦- عبدالله أحمد، الثورة الجنوب اليمني من الاحتلال إلى الاستعمار، ط١، مطبعة المدني القاهرة، ١٩٨٦م.
- ١٧- عبدالواسع يحيى الواسعي، تاريخ اليمن المسمى مزحمة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن المطبعة السلفية القاهرة، ١٩٢٧م.
- ١٨- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢م، ط١، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ١٩٨٤م.
- ١٩- عبدالله بن عبد الكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، ط٢، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.



- ٢٠- عبد الرحمن ابن الدبيع الفضل، المزيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، دار العرب، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٢١- عبد الإله بن علي الوزير، تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى، تم محمد عبد الرحيم حازم، بدون دار طبع، صنعاء اليمن ١٩٨٥م.
- ٢٢- عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي باشا ١٨١٩ - ١٨٤٠م، ط ١، مج ١، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٩٨٢م.
- ٢٣- عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث لأوروبا، ٢، دار الفكر العربي الحديث، بيروت ١٩٨٥.
- ٢٤- عبد الحميد البطريق، من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م، مطبعة المعرفة، القاهرة ١٩٦٩م.
- ٢٥- فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م، ط ١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.
- ٢٦- فاروق أباطة، الحكم العثماني لليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م، ط ٢، دار العودة بيروت، ١٩٧٩م.
- ٢٧- قطب الدين النهروالي، البرق اليمني في الفتح العثماني، ط ٢، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٢٨- كارستن نيبور، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، تم أحمد قائد الصائدي، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٢٩- محمد بن أحمد بن آياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ج ٢، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٣٠- مجلة سبأ، العدد (٣)، إصدار قسم التاريخ، جامعة عدن السنة الثالثة أبريل ١٩٨٧.
- ٣١- محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، ط ٢، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٣م.
- ٣٢- محمد عبد الكريم عكاشة، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، ب، ط ٢.
- ٣٣- محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطائف السنية، تحقيق ونشر حفيد المؤلف عبدالله بن محمد بن عيسى العقيلي، المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، ج ٢ مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة. له بن محمد الكبسي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ٣٤- محمد بن محمد بن أحمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (جزئين)، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٣١.
- ٣٥- عبدالله محمد الحبشي، حوليات يمانية من سنة ١٢٢٤هـ إلى سنة ١٣١٦هـ أو اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٠م.